الرِّيم

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2022/1/515)

813.9

الجبور، قصي محمد

الريم - ريم رياض الكيالي - عمان - جفرا ناشرون وموزعون المؤلف،

2022

ر.إ.: 2022/1/515.

الواصفات: / الروايات العربية / / الأدب المعاصر / / الأدب الحديث .

يتحمل المؤلف كامل المسؤوليه القانونية عن محتوي مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكوميه اخري.

الطبعة الأولى

2023 م

الإهدَاء ،،

لِكُلِ غَزالةٍ شَاردةٍ لا تَسعُهَا الغابَة ،

.... و لا تَحِدُّ قُرونَها سَماءْ !

‘

‘‘

‘‘‘

بِدءْ ‘‘

بِعَينـينِ كَبيـرتَينِ و قَـرنينِ صَـغيرينِ ، و خُطـوَات صَـغيرة تُمـارِسُ الوَثـبَ شَـغباً و تُشَـتِتُ الظِلال .. كانـت تُمهِـدُ لِروايتهـا صُـورة لتكبُـرَ بأمـانْ ، و ترفَـعُ بيـديها العنـوانْ ، اسـمها "ريـمْ " ، تعيشُ في بيتٍ جميلٍ ، تحدّهُ من الشمالِ غابَة وارَفَة الأشجار ، و على امتداد المَساحاتِ بيادِرَ قَمحٍ و بيارَات بُرتقالْ .

قِصَّة قَبل النوم ، عُرفٌ لا بُدَّ منهُ لِتنام الجَميلة و تَحْلُمَ بِالسَناجب تقطِف النجومَ ، و بالفراشاتِ تَدور حولَ القَمرِ ،، أمسَكت بيد والدِها الكَبيرة ، خَبَّأتْ رأسَها في صَدرهِ و أشارَت لهُ بالبدءِ.. "كانَ يا مَكان ، بِقديمْ الزِمانْ .. كان هُناكَ صَيادٌ مَفتولُ العضلاتِ ، يحمِلُ سِكيناً و يَترصَّدُ الغُزلان ، و بينما كانت الغزلانُ تَشربُ من النهرِ ، فاجأها لِتهربَ بِكُلِ الجِهاتْ ."

لِتُقَاطِعَهُ ريمْ : أبي .. لماذا يفعل الصَّيادُ هَذا؟

فأجابها : من أجلِ الحُصولِ على دَمِ الغزالِ .

ريمْ و أحد حَاجبيها مَرفوع : "هل يريدُ الصَّياد دميْ ؟

والدها : نَعم ، يُريدُ أن يَشرَبه !

تَوسَّعت حَدقتا عَينيها ، و شدَّت على يَده أكثَر ، و سَألتهُ ." مَاذا أفعل إن رَأيتُ الصَّياد؟" ، فَرَدَّ عَليها والدها : " تَركضينَ بِكُلِ ما أُتيتِ مِن خُطوَة..!"

***

كُلّ نهايَةِ سَنةٍ تقِفُ ريم أمامَ جِدارٍ زَخرفتهُ والدتها بالأزهَار ، كانت والدتها تَخطُّ بالقَلمِ على الجِدارِ لِتُسجِلَ طُولَ ريمْ ، يبدو أن بَطلتنا تَزدادُ طُولاً ، و قَرنيها في ازدهَارٍ.. إنَّها مُناسَبةٌ جَميلة لِتقصَّ عَليها والدتها قِصة استثنائِية ، اخذت مَكانها في صَدارَةِ القِصَّة بِحُضنِ والدتها..ثُمَّ ، "كان يا مكانْ ، في قديم الزمانْ .. كان هُناكَ غزالَةٌ جَميلة ، لَونها ذَهبِيٌّ خالِصٌ و رُموشَها طَويلة .. كانت تُغني على وَقعِ زقزقة العَصافير .. و كان صَوتهم يَكْبَرُ كُلما دَخلت أكثَر داخِلَ الغابَة .. ، صادَفت صيَّاداً فأَخَذَتْ بِالركضِ بَعيداً .. "

قاطَعت ريم والدتها بِسؤالهَا : هَل على الغَزالة الهربِ دَائِماً ؟

والدتها : طبعاً فالصَّياد يُريدُ قَرنيها .. من أجل أن يَبِيعهمَا بالسوقِ مُقابِل بعض عُملاتٍ فِضيَّة!

ريم و هي تَتفَقَد قَرنيها : لو رأيتُ هذا الصَّياد .. سَأهرُبْ ..

والدتها وهِي تُرَّبتُ على رَأسها : نعمْ..

رَفعت ريم رَأسها و قَالت : عليَّ بالركضِ بِكُلِ ما أتيتُ من خُطوة ..؟

***

كانَت المساحاتُ الخضراءُ عَلى امتدادِ النَظرِ .. مَفتوحَة ، بَينما الغابَةَ الشَماليّة المُتشابِكَة فِي الوَصفِ .. مَمنوعَة !، بهذا اجتمع الأطفال للعبِ تَحت سَماءٍ زرقاء صافية ، تَتَشَابَكُ الأَيدِي و يَدورونَ حولَ صَحنٍ وهميٍّ .. و يُرددونَ " دُور يا صَحنَ السُكر " ، و حينما تَنتهي الأغنية يُغلِقونَ بأيديهِم على أنفُسِهم، و الطَفل الذي يَنتهي بِه الأمر في المُنتصَف ، يَلعبُ دَور الصَّيادِ و يَعِدُّ على أصابعِ يَديهِ ، ثمَّ يَبدأُ بالبحثِ عن الغُزلانْ .

ريم لا تُجيدُ الاختباء ، و غالباً ما يَتمُ العُثورُ عَليها أولاً .. لذا كانت تُحِبُ أن يَقع الاختيارُ عليها و تكونَ الصَّياد ! ، لَعِبَ الأطفالَ كَثيراً حتّى انتصَفت شَمْسُ السَماء ، كان لا بُدَّ من استراحَةٍ يُجَدِّدُونَ بها طاقَتهُم ، الكَثير من الأطعمةِ الطيبةِ و فاكهة الموسم تَشَاركها الأطفال معاً .. ، تَبادَرَ لِريم تَساؤُلٌ ، حَملَتهُ في جُيوبِ قَلبها حتى تَعود وَ تَسأل وَالديها .

جلسَت والدة ريم تُسّرِحُ لها شَعْرَهَا و كان هذا أسوأَ ما في فقرَةِ المَساء حيثُ إنَّ لِبطلتنا شَعراً مُجعَّداً ، بينما كانَ والدها يُعِدُّ الذُرَة لِلشِواءِ .. سَألها عن نَهارها ، فأخبرتهُ أنها لعِبَت كَثيراً ، و كَم اصطادَت من الغزلان التِي كَسَرَتْ صَحن السُكر ! .. كانت تَتكلَّمُ بِحماسَةٍ ، ثم صَمتتْ فَجأة ، سَألتها والدتها " ماذا حَصل بعد ذلِك ..؟"

عدّلت ريم مِن زَاوية جُلوسها و نظرت لوالديها ، " أمي ، أبي .. مَتى على الغزالة أن تُطلِقَ خُطوتها .. بعد العدِّ لِعشَرة ؟" .

هُنا نَظر والدها في عَيني زوجَته ، و عَلِمَ كلاهُما أنهُ لا بُدَّ من قِصَّةٍ عاجِلة تصَّوِبُ وجهَةَ الغَزال و تَأخذ بِخطوتهِ على سَطرِ الهَرَبْ ...

***

بُستان والدها الكَبير و حُبّهِ لِلزراعَة ، غَرسَ بِها حُبَّ الطَبيعةِ .. كانت تَقضِي الوقت بِرفقتهِ ، تَقطِفُ الرُمَّانَ و تُرتبهُ في صناديقَ خَشَبيَّة ، تُلَّمِعُ التُفاحَ الأخضَرَ .. و تُغّلِفُ عَناقيدَ العِنَبْ .

الوَرقَةُ المائِلَةُ للإصفِرارِ المُتدليةُ عن غُصنٍ أخضَر ، الثَمَرةُ الحمراءُ الذي يُغَلِفُهَا شَوكٌ .. تلكَ المجهولَة الإسمِ .. الحشائِش البَنفسَجيَّة التي تُخبِئُ خَلفها فِطراً غريبَ اللونِ .. كُلّ هذا كان يَجذِبُ انتباه ريمْ ، لِتبقَّى على السُؤالِ تَخوضُ في المَعلومِ بأمر فُضولها و تَبحثُ في المَجهول ..

***

اتخَّـذَتْ ريـم العِطـارَة مِهنَـةً لَهـا ، فَقَـدْ وَجـدتْ لِشَـغفَها بالطَبيعَةِ مَهرباً لها من تَعَلُّمِ الخِياطَةِ و الحِياكَةِ ، و هوَ الذي لا تُجيـدهُ بيديها الصَغيرتينْ ، رُغـمَ أنـهُ الـدَرب الـذِي سَـارت عليـهِ مُعظم الفَتيـات و التَحقَـت بـهِ صَـديقَتهَا "ميـرالْ" ، بينمـا اتَجَـهَ الفتيـانِ للعمَـلِ في المِهَـنِ التـي تَحتـاجُ لقـوّة تَحمُّـلٍ ، حيـث إنَّ صَـديقا طفولَتهـا اتخـذا الصَّـيد مِهنـة ،" ارام " الفتـى ذُو الشَـعرِ الأحمـر اتخـذه حُبـاً في الصَّـيدِ ، بينمَـا "رئـم" صـاحِب العينـين الكسـتنائِيتينِ ، غَلـبَ عليـهِ قَـرارهُ بِعـدم مَعرفتـه بِمـا يُريـد أن يكونَ ، أن تؤولَ بهِ السُنُونْ صَياداً أسوَة برفيقهِ "ارامْ ".

قَبـل انطِفَـاءِ الشَـمسِ خلـفَ الغابَـةِ ، يَعـود الصَّـيادون بِمجموعـاتهم ، حَـاملين علـى أكتـافِهم غلّـتهُم مـن الصَّـيدِ ، يَسيرونَ في الشَارعِ الرَئيسِ عَاليي الجِباهِ و كأنَهُم ذاخِرونَ بفـوزٍ كَبيرْ .. إبتساماتهم عَريضَة ، لا يَشوبَها غُبار.

كان الأطفال يَحيّونَهُم ، يَرنُوهُم أبطالاً .. و الشَقِيُّ المَحظوظِ هـوَ مَـن يَحظَـى بِتَحيّـةٍ مـنهم ، .. إلا أن "ريـم" كانـت تُـدراي عَينيها عنهُم ، ليسَ خَجلاً من أقوى فِتيّة القَرية ، بَل لأنها لا تَقْوَى على رُؤيَةِ لَون الدَّمِ الذي يَقطُر من الغُزلانِ و الأرانبِ و الطُيور .. كانوا في عينيَّ قَلْبِهَا أقربَ لِتَصنيفِ قَتَلة !

ذاتَ مَساءٍ ، تَعطَّلَ قِفلُ بابِ مَحلِّ العِطارَةِ ، لَم تدرِي مَاذا تَفعَـل .. كـان همُّهَـا أن تعـودَ إلى المنـزِلِ قَبـلَ أن يُخيَّمَ الليـل بِعباءتـهِ على رأسِـها .. فوَقَفـت على بَابِهـا تَنظُـرُ و تَنتظِـرُ ، و كالعـادَةِ .. عـادَ "ارام" مـن جَولـةِ صَـيدهِ مُكتسـياً بِـالتُرابِ حـدَّ شَـعْرِهِ الـذِي صُـبِغَ لَونـهُ بالتَعَـبْ ،.. مـرَّ مـن جَانِبِهـا و نَظـرَ لهَـا بتَعجُبٍ ، لَمْ تُبادِلهُ النَظرَ فقد كانَت مُنهَكةً بِانتظارِ حَلْ .

تعدَّاها بخُطواتٍ ، و تبيَّنَ لهُ أنها في مُشكلَة ، فعَادَ أدراجَه خُطوتينِ ، و سَألها : ما الأمر ؟ تَنتظرينَ أحداً ؟"

"ريمْ" مُشيرة بيدهَا للقِفل : لا أستطيع إقفالِ المَحلْ ..

اقتربَ "ارام" مِنها و أعطاهَا غَزالهُ ، فَتحت يَديها دُون وَعيٍّ و حَملتهُ ، تسَّمرت في مَكانها بعدَ ان أدركَت أنها تحمِلُ غَزالاً مَقتولاً ، و لَم تستطع أن تُشيحَ بِنَظرِهَا عن عَينيهِ المُغمضتينِ و رَأْسِهِ الغَارِقِ بالدّمْ ، انحنَى "ارام" و أخذَ يُحاوِلُ بِالقِفلِ ، و أصلَحهُ .. بِشَكلٍ مُؤقتٍ ، وقال لها : غَداً صَباحاً أستبدلهُ لكِ بِقفلٍ جَديد.

لَمْ تُحرِك سَاكِناً ، فأطلَقَ ضِحكَةً خَبيثَةً بَعد أن تذَّكر أنها تَهابُ الدَّم مُنذُ طُفولتها ، فأخذَ عنها الغَزال و رَماهُ خلفَ ظَهرهِ بحركةٍ سَريعةٍ .. وكانت يَداها قَد اتسَختا ، لاحظَ ذلك و حَاول التَّدَخُلَ بمسحِ يَديها بيدهِ .. لِيزيدَ المَوقِف غَرابَة .

بِعودَتها للبيتِ ، بدَت شارِدَة الذهنِ ، أخذَت تنظُرُ لكفيَّها كَمَنْ يَتفقَّدُهما و يُحصِي تَعرجاتِ خُطوطها ، لاحظَ والدها ذلكَ فَسألها إن كانت تَشكو مِن خَطبٍ ، و عَللَّت تَصرُفّها أنَّ أَصابعها تُؤلمها من مُحَاوَلَتِهَا إِصْلاح القِفْل .. ، و تذَكرت أنها لمْ تَشكُر "ارام" على مُساعدته ، و لكن لا بأس فهِيَ سَتراهُ غَداً صَباحاً كَمَا وعَدْ.

***

قريَةُ "لامارا" مَوبوءَة !

هذا مَا استيقَظَ عليهِ أهلُ القَريَةِ من خَبرٍ دَخلَ البُيوتَ قَبلَ أن تَستيقِظَ العَصافيرْ .. فقَد وصَل الوَباءُ الغريبِ الذي ضَرب القُرى المُجاورة إلى "لامارا" ، و كان أهلُ القَرية كَغيرِهم من أهل القُرى يَجهَلُونَ سَبب الدَاءِ و دَوائِهِ .

حَاولت الأُمهاتُ اتخاذ تَدَابِير وقائِيَّة ، لِمَنعِ إصابَةِ بناتهم ، وذلِكَ بِمَنعهم مِن الخُروجِ أو الحَدِّ من ذلِكَ ليقتَصِرَ على الضَرورة المَاسّة ، حيث إنَّ المَرض يُصيبُ الفتيات دُون الفِتيه ، يَجعَلُ وُجوهَهُمُ باهِتَة اللونِ شاحِبَة ، و يَترُك لَوناً أَبيض عَلى شفاهِهن .. لا يزولْ.

تَعطَّلت الحركَة فِي "لامارا" ، و باتَت أشبَهَ بالمَهجورَةِ ، بعدما يُغادِر الفِتيان نَحوَ الغابَةِ للصَّيدِ.. حيث إنَّ الطُرقات بَدت

مَسكونة بالفتيانِ! ، و آلت الأمورُ لِتَطالَ التَعامُلات مَع القُرى المُجاوِرَة .. التي كَادَتْ تَكونُ شِبه مَعدومَة ، و استَمَر الأَمر لِيَمتدَّ حَدَّ أَبوابِ الخَريفْ .. ، أَمَا القِطط ، فَكانَ لا بُدَّ مِن الإشارة إليها ، و هِيَ التي اتخذَت الطُرقَ مَجَالاً لَهَا بَدلاً مِن العَتباتِ وَ الشُرفَاتْ .

أيامُ "ريم" بَدت رَتيبةً ، فقد كانت تَقضِي مُعظمَ النهارِ رِفقة والدهَا ، تُساعدهُ فِي جَنيِّ حِمضياتِ المَوسِم ، و تَرتيبها فِي الصَناديقِ ،.. ، أَمَا فِي المَساءِ فَقَدْ كَانت تَجلِسُ قُربَ والدتها ، التي بَدَتْ جَاهِدَة تُحاوِلُ دُون جَدوى .. تَعليمها الحِياكة !

تَجاوُزِ المَسموحِ بِمغامَرةٍ سِريَّةٍ قُربَ الغَابة لِجلبِ زَهرةِ شَفاء ..! ، هذا كَان هَاجِسُ "ريم" و حُلم يَقَظَتها الذي يَتسَلل إليها كُلمَّا سَلَّمَت لِلغَفو أَمانَها .. و كَمْ اشتاقَت لِلخُروجِ و تَجاوُزِ جُدرانِ البيتِ .. إلى مَحلِ العطارة ، حَيث أَن والدتها رَفضَت خُروجها خَوفَاً عَليها ، وَ لكِن بَاتَ وَالدها يَجلِبُ لهَا

بعـض الضَـرورِي مِـن المَـوادِ التـي تَحتاجُهـا لإِعـدادِ بعـض التَركيبات اللازِمَةِ لِمُساعَدَة أَهلِ "لامارا" .

طَرقَ بابهُمُ الجَارُ الكَبيرُ في السِن يَسأل "ريم" عَـن مُهَدِّئٍ لِسُـعالهِ ، ثـمَّ إبنـة الخَبـازِ لتَسـألها مُسَـكِنٌ لمَعِـدَةِ ابنهـا ، .. ثَـم العَامـل الـذِي أحـرق يَـدَهُ ، فالجميلـة التـي تَشـكو مـن تسـاقُطِ شَعرها ! ، كان لا بُدَّ مِن وَالدة ريم أَن تتخِذَ مَوقِفاً صَارِماً بَعد رُؤيتها لِلبيـتِ تَحَـوَّلَ لِمَحـل عِطارة ! ، و أنها مَنعـت ابنتها مـن الخُـروج ، كـان بِـدافعِ حِمايتهـا مِـن أن تُصـابَ بالـدَّاءِ الغريـبِ ، بينما زَوجها لا يَهتمُ أبداً و هُوَ الذي يرفِدها بالمَواد مِن المَحل..!

بـالتَزامُنِ مـع أَمـرِ وَالـدة "ريـم" بِعَـدم اسـتقبالِ أحـدٍ فِـي بَيـتهم، بَـدأت تَتسَّـربُ أَخبـار بِخصـوصِ ايجـادِ أحـدِ القُـرى

المُجاوِرَةِ لِدواءْ ، حَاوَلت "ريم" تَقصِي الخَبر ، و فُوضولها بِأَمر طَبيعةِ دِراستها وَ عَملها يَفرِضُ عَليها هذا الدَورْ .

قَرَأت العَديد مِن الكُتب و بَحثت فِي المَراجِع الطِبيّة وَ الطبيعيَة ، تَبَيَّنَ لَهَا انها أعراضٌ لا تُشبِهُ التَسَمُمَ و لا يمكن وَصفها بالمُعدية ! مَجهولة الكثير من الأمورِ حَول الدَّاءْ .. ، بَدت شَارِدَة الذِهنِ وَ هِي تُفكِّرُ بِمُعادَلةٍ تَفرِضُ مُعطياتها بِنتيجَةِ حَلْ ، نَفَضَت عَنها الأَرقام وَ القَوانينِ التي أَثقَلت حَركتها ، وَ تَوجَّهَت نحوَ النَافِذَة الكَبيرة .. ، جَلَسَت عَلى حَافتها تَتَخَفَّفُ عَن التَفكيرِ بِالتنفسِ العَميقْ .

صادَفَ مُرورَ "رئم" من الطريق ، لِيُحَيِّهَا بِيدهِ ، فأَشَارَت لهُ بِيَدها ، وَ اقتَربْ .

ريم : مَرحَباً .. كَيف حالكَ ، أَخبرني كيفَ تَسيرُ الأمور فِي "لامارا"؟

رئم : لَيستْ جَيدة ..

ريم : حَالُكَ أم القَريَة ؟

رئم : أُصيبتْ "مِيرال" بِالدَاء ...

ريم : حَقاً ! أسفةٌ لأجلَكمَا .. مَاذا سَتفعل الآن ؟

رئم : سَوف نَقومُ بِتَأجيل حَفلِ الزِفافِ طَبعاً .. انها كَئيبة ، لَمْ أَستطِع تَحَمُّل دُموعها ، لا أَعلم كَيف أَصِف لَكِ وَجهَا ..

ريم : سَأقومُ بِزيارتها قَريباً .. تَمَاسَك لأَجلِ "ميرال" .

رئم : نَعم ، هُناك مَعلوماتٌ عن دَواءٍ .. سَأتثبتُ صِحةَ الأمرِ .

ريم : سَمعتُ بذلكَ أيضاً .. هَل يُمكنكَ أَن تُطلِعَني بِالأخبار ، يُمكنني المُساعدة بالوَصفةِ لَو عَلمت بِها ..

رئم : فِعلاً ، لَكِ ذَلكْ .

***

عَادَ وَالدُ "ريم" من زيارةٍ لهُ لِلقريةِ المُجَاورة ، بدا سَعيداً بِتعاقُدٍ أجراهُ مع أحدِ التُجار ، وَ أَخذ يَتغنَى بِبضاعتهِ التي لا يُوجَد مَثيل لها في السُوقِ ، و كيفَ لهُم أن تَتوسّعَ حَدقات عُيُونِهِمْ مِن بَريقِ تُفاحِهِمِ .. انسَجمَتْ وَالدتها مَع حَديثهِ و هي تُحَضِرُ العَشاءْ .. ، أما "ريم "فَبدَتْ خَاويَة من الطاقَة لإطلاقِ ضِحكتها الصَاخِبَةِ و إكمالِ التَّغَنِّي بِتُفاحِ وَالدِهَا الذي لا يُوجدُ مثيلهُ إلا في الجَّنَة !

والدةُ ريم لوالدها : تَجادلنَا حَولَ زيارةِ ابنتكَ لـ"ميرال" .. وَ قد أُصيبت بالداءِ الأبيض.

الوالد : مُؤسِفٌ ! ، تذكرتُ أمراً مُهِمَاً ، لقَد وَجَدَت القَرية التي تَوجهتُ إليها دَواءاً للداءِ ، وَ هُو فِي فَترةٍ تَجريبيةٍ الآن على عَدَدٍ مُختارٍ مِنَ فَتَياتهِمْ ..

هُنَا تَنبّه سَمعُ "ريم" ، و قَاطعتهُ بالسُؤالِ : أَبي ، مَا هُوَ الدَواءْ؟

الوالد : لَستُ أَعلم .. لَكِن سَنعلم كُلَ شيءٍ بِوَقت قَريب ..

ضَربت ريم المائِدة بِمِلعَقَتِها ، فَنظرت لها وَالدتها نَظرة تَفرِضُ اتبـاع النِظـامْ .. وَ أَسـلَفَت بِـالقَول : سَـتكونُ "مِيـرال" بِخَيـر ، اهدَئِي ..

مرَّت أيامٌ عديدةٌ ، و "ريم" تَنتظر مُرورَ "رئم" قَبل غُروبِ الشَمس عَلَّهُ يَأتيها بأخبارٍ أكثَر ، كَما أنها تَوَدُّ الإطمئِنان على صَديقتها التي لا يُمكنها رُؤيتها بِأَمرِ الحَجرِ الصِحي و الأسوارِ العَاليَّة ! ، .. في أثناءِ ذلِكَ ، مرَّ آمِرُ العُمدةِ يُنادي بأهلِ "لامرا" :

(يا صَيادي لامَارا ، يَطلبكم العُمدة فَجر الغَد لأمرٍ عَاجِلٍ ، يُرجَى مِنكم الحُضور فَوراً .. مِن خِلالِكُمُ سَيَتِمُّ انقاذُ فَتياتنا الغَاليات و لَنْ يَموتن حُزناً بَعد الآنْ ... ، يا صَيادي لامَارا .. يَطلبكُم العُمدة .. ، ..) ، تأهبَت الأذانُ خَلفَ الأبوابِ ، وَ تطاوَلت أعناقُ الأطفالِ لِتَصعَدَ النَوافِذ .. و بَلغَ الفُضولُ عنانَ السَماءْ.

كيـفَ للنـومِ أن يُخـيَّم على عَينَّيهـا و هُمـا مَفتوحَتـانِ على الدَهشةِ ، كانت ليلة طويلة ، لِتَتخِذَ قَرارها بِالتخفِي و الخُروجِ من البيتِ خِلسَة ، ارتَدت مِعْطفَ وَالدها و خَرجت مِن النَافِذَةِ ، لَـمْ تَتَلّقفهـا الأرضُ بِخِفَـةٍ ، فَقَـدْ أَصـابت قَـدمها بـالتواءٍ إثـرَ تَعثرها بِحَجرٍ صَغيرٍ لمْ تَتنبه لهُ مِن ظُلمةِ الليلِ .. ، وَ وَصلت لِمكانِ التَجَّمُعِ المُحدَّدِ لِتَجِدَ الصَّيادين فِي حَلقَةٍ حَولَ العُمدَة ، بِحَجمهَا الصَغيرِ مُقارَنـة بأَجسـادِهم لَـنْ تَسـطيعَ أن تـدفَعَهُم لتَسـمعَ ! ، فصَـعِدَت على بِرميـلٍ قَريـب لِتَـرى وَ تَسـمِعَ مَـا أذهَلَهَا ، فَقَـد أُمِـرَ الصَّـيادون بإصـطياد أَكبـر عَـددٍ مـن الغُـزلان ، لغايَـةِ الإفـادَةِ مَـن دَمهـم فِي صُـنعِ الـدَّواءِ الـذي أثبـت فَاعليتـهُ ، حيـث سَـيَتِمُ اعتمـادهُ أيضـاً لحَـلِ وَبـاءِ "لامـارا" .. أُسـوَة بِبَقيّـةِ القُرى !

تحـرَّك الجَمـعُ كُـلُّ بِاتجـاهٍ ، مَقصَـدهُم الغَابَـة .. ، و بينمَـا أَخـذت "ريـم" تَسـيرُ عَائِـدَة لِبيتهـا ، لَفَـتَ انتبـاه الصَّـيادين وُجودهَا كَفتَى نَحيلْ ، أُشيرَ لهُ بالصَّيادِ الغَريبْ ؟ ، سَمعتهم فأخـذَت تُسـايِرُ ضَـرباتِ قَلبهـا الخائِفَـة لِتُسـرعَ في السَـيرِ .. وَ يَسـيرونَ وَرائَهَـا بِـذَاتِ الـوَتيرةِ ، أَخـذت تـركُضُ خَوفَـاً مـن أن يَنكشِـفَ أَمرهـا و كَـمْ كانـت تُؤلِمُهَـا قَـدمها ، فأَمسَـكَ بِهـا أَحـدُ الصَّيادين ، وَ تَوجَّهَ بِالسُؤال : " مَنْ أنتْ ؟ لِماذَا تَهربُ مِنَّا ؟ " .

لـمْ تُجِـب "ريـم" بشـيءٍ لأن صَـوتها سَيكشِـف أمرَهـا ، فـدفَعَ الصَّيادُ يَدَهُ بقوّةٍ نَحوهَا وَ هُوَ يَصرُخ : " تَكَلَمْ يَا فَتى !" .

تَمَسَّـكَتْ "ريـم" بصَـمتها ، وَ أَخَـذَتْ تُـدارِي رَأسـهَا لِتُخفِـي مَلامِحها بإقترابِ الصَّيَاد مِنْهَا ..

فإذ بِه يُعيدُ الكَرَّة بِنَبرةٍ أعلَى ، فَيَغضَبُ و يَرفَع بِرأسِ الفَتَى المَشبوهِ ، لِيَتضِحَ وَجهُ "ريم" و يَنسَدِلُ شَعْرَهَا ! ..

لحظـةٌ واحـدَةٌ كانـت كَفيلـةً لِيَتجمهَـرَ الصَّـيادونَ حَولهـا ، .. "أليسـتْ الفَتـاة في مَحَلِ العِطارة !" ، " مَـاذا تُريـد ؟ لِمَـاذا هِـي مُتَخفِّيَةٌ ؟ " ، " انها جَاسوسَة !" .

بِصَوتٍ جَهور " مَاذا يَحصلُ هُنا؟" من عَميدِ الصَّيادينِ ، تم إفسـاح طَريـقٍ لـ"ارام" ، لِيَصـمِتَ الجَميـع و يَتَقـدَّمهُم نَحـوَ الفَتَاةِ..

ارام : ما الذي تَفعلينَه هُنا ؟ في هذا الوَقتِ ؟ فِي هَذهِ الملابِسْ ؟

ريم : أَردتُ أن أَعرِفَ ، فَقَطْ ..

"ارام" مُقاطِعَاً لهَا بِصوتٍ غَاضِبٍ : مَاذا لَو تَعَرَّضَ لَكِ أحدهُم أَو أُصِبتِ بِخَطبٍ مَا؟ مَاذا لَو هَاجمَكِ الدُّبُ ذُو العَينِ الوَاحدة!؟

"ريـم" وهِـي تُـداري شَـعْرَهَا بِالقُبَّعَـةِ ،عَلّهَـا تَتَـوارى عَـن أعـيُنِ الجَميعْ: لا تَصْرُخ بِيْ ..!

شَعر "ارام" بِغضَبٍ غَير مُسّوَغ ، رُبما هوَ رَدُّها المُستفِزُ قَليلاً ، لِيأخُـذَ بِيَـدها و يَتجِـهَ بِهـا نحـوَ بيتهَـا .. دونَ أن يَتَكلمَـا أثنـاءَ الطَريق ، فهوَ لا يَرغبُ بِفَتح بابِ جِدالٍ يَعلمُ مُسبقاً كُلَّ رُدودهِ عَليهِ ، فانهَا فَعلتْ ذلك من بَابِ فُضولها ذَاته ، الذي جَعلَهُم ذَات مَرّةٍ وَ هُمْ أطفالٌ يُسَايرونَ فُضُولهَا الكَبيرِ ؛ لِيُلاحقُوا دُبَّ الغَابَةِ الصَغير ، حِينَ انتَهى بِهُم المَطاف تَائِهينَ فِي الغَابَةٍ لأيامٍ .. و اتخاذِ الدُّبِ الأبِ لِلَقَبِ ذِي العَينِ الوَاحِدَة !

بِوصـولِهم لِبيتهـا ، أخبرهَـا "ارام" بأنَـهُ سَـيَتَوجَبُ عليـهِ أن يُغادِر لأَيَامٍ لإصطيادِ أكبر كَمِيّةٍ مُمْكِنَةٍ من الغُزلان .. ، شَكرتهُ على مُرافقتها بِكلمةٍ واحِدَةٍ ، فَسَألها بَينمَا مَال بِرأسه نَحوها "أما مِن شيءٍ آخَرَ تُريدين قَوله لي ؟ "

فَقَالت لهُ : بَلى .. أَتعلَمْ ! لا دُبَّ غَيرُكَ هَا هُنَا ...

***

كانت لَيلَةً ضَبابيّةَ الأحلامِ ، لا مَلامِحَ للوُجوهِ التي زارَتها فِي مَنامِها .. و الأماكِنُ اكتَسَتْ بأزرَقٍ قَاتِمٍ تَماوَجَ بين بَحرٍ و سَماءْ ، لـمْ يتضِـح عِنـوانٌ أو رِوايَـة للأحـداثِ التـي تَـداخَلت بشَـكلٍ يُصْعَبُ فَهمُـهُ ، لتَتَـراكَمَ بَقايَـاهُ فِي رأسِـها على هَيئَـةِ صُـداعٍ .. بِثِقَـلٍ ، نَهَضَـتْ لِتُقفِـلَ نَافِـذَتها كَـي تَمنَـعَ تسَّـرُبَ الشَـمسِ ، و عَادَت لِسَـريرَهَا تودُّ لَو تُمسِكُ بِأَطرافِ الدُّوَارْ ..

دَخلَـتْ وَالـدتهُا الغُرفَـةَ تَسـتعجِلُها النُهـوض ، تَعجَبـتْ مِـن حَجـمِ العَـتمِ ، فاتجَهَـتْ نَحـوَ النَافِـذَةِ لتُشـرعَ لِلصَبَاحِ سَـتائِرَهُ .. فَتحتهُمَـا على مِصـرَاعِيّ الضَـوءِ ، و التَفتَـت نَحوَهَـا ، فكانَـت تُخَبِّـئُ بِيَدِها عَينيها تُريدُ أن تَحجُبَهما عن جِهَة الشَمسِ ، أَما جَبهتها فَقَد عَقَدت عُقدَتها .. ، و في هَذهِ الأثناءِ قَبضَت وَالدَتُهَا عَلى قَلبها وَ شَهقَتْ ..

ريمْ : حَسناً أُمي ، لقَد نَهضَتْ ..

وَالـدتها و هِـي تَقْتَـرِبُ مِنهـا بِبُطءٍ : شَـفَتيكِ ؟ نَطَقتَهـا و كأنَهَـا تَتَهَجَأُ الحُروفْ ..

ريمْ و هِي تُحاوِلُ الصَحوَ بُكُّلِ ما أُتيَت مِن وَعِـيْ : مَا بِهمَا يا أُميْ ؟..

جَلست العائِلَةُ على طَاولِةِ المائِدَة المُستَديرَةِ ، الواقِع قَد فَـرضَ الأمـر علـيهم ، فَلَـمْ يَكُـن هُنـاكَ حاجَـةٌ لِنقـاش ، وَحـدَهُ التَسـليمُ بالحَـدثِ هـوَ مـا كَـان ، لَـم تَسـتطِع "ريـم" أن تضَـعَ كَلماتٍ مُفيدَةً عَلى سَطرِ الحالة ، كانَتْ تَنظُرُ القَلقَ فِي عَينـيِّ وَالدهَا وَ الخَوفَ عَلى وَجهِ وَالدتها .. ، وكَان الصُداعُ يأخذُ حَيِزاً لا بَأسَ بِه ، لِتَسألهُمْ .. غَفْوَة ..

انطَلقَ والدها لِلمَزرَعةِ ، يَحمِلُ عَتادَهُ عَلى كَاهليهِ و همَّهُ فِي قَلبهِ ، بينمَا اتكأَت وَالدتهَا عَلى أفكارٍ رَاحَتْ تَبني بِها وترتفِع ، مَاذا عَساهَا قَدْ تَفعَل لتَأمَنَ سَلامَةَ ابنتهَا مِن اكتئَابٍ قَد يَطال أيامَهَا ، مَاذا لَوْ الحُزنُ غلَّفَ قَلبَهَا ، لَو انكَسَر قَرنها .. كيفَ سَتتصَّرَف أَمَامَهَا و هي المُنهارَةُ هُنا.. هلْ تُخَبِّئُ عَنها المَرايا ؟ أم تُقفِلُ على الكَلامْ ؟

بعدَ غَفوَةٍ هانِئَةٍ .. نَفضَتْ عن عَينيها النُعاس ، و اتجَهت نحَو مِرآتها ، اخذَت فِرشاة شَعْرِهَا و بَدأت تُسَرِّحُ الذي انعقَدَ مِنْهُ ذَاتَ كَابُوسٍ ، .. لم يُحزِنُها لَون شَفتَيها .. بِقَدرِ مَا ألمَها فِكرَةُ أن تضَعَ عَليهمَا دَواء من دَمِ غَزالٍ !؟ ، حرَّكت رأسَهَا عَلَّها تَطرُدُ الفِكرَةَ التي عَبرَتْ وَعيهَا لِلَحظَةٍ .. و أخذَت تُحدِّثُ رُوحَها بِمَا يُحفِزُّ بِها النَبضَ .. " لا بَأسَ بِلونٍ أبيَضَ و بعضَ شُحُوبٍ ، قَد أصيرُ أقربَ لِقَمرٍ لَو لوَّنتُ شَعْرِي بالأبيضْ !" ، وَ بِسماعِ روحِها ذاكَ الحديثِ .. ابتسَمتْ وَجنَتاهَا ..

كَانَ لـ"ريم" نَظرَةٌ أُخرى اتضَحَتْ حِينَ انسَحبَ الضَجيجُ الـذي أَقَـامَ فِي رَأسِـهَا أبعـادَهُ ، اتخـذَت قَرارَهَـا بـالعَودَةِ لِمَحَـلِ العِطـارة و فَـتحِ أبوابِـهِ أَمـامِ أَهـلِ "لامـارا" ، فلَـيسَ هُنـاكَ مـا يِدْعُوهَا للإختباءِ بَعْدَمَا أَصابَتهَا العَدوَى .. و إنَّ لهَا حَاجَةً ماسَّـةً فِي دَاخلهَـا تَـدعُوها للإمتِثَـالِ لِواقِعهَـا العَملِي بالبَحـثِ فِي أمـرِ الوَبَـاءِ ، وَ هِـيَ التـي قَضَـت الأيـامَ تُـداوِلُ البَحـثَ و تَسْـهَرُ في التَّقَصِي ..

***

صَباحٌ إستثنائِيٌّ ، تَرى نفسَـها تتَجَهَزُ لِتَنطَلِـقَ نَحـوَ نَهارِهـا ، جَمَعَـتْ أَوراقَ مُلاحظاتِهـا فِي حَقيبتهـا ، وَضَـعَت على كَتفيهـا شَالاً صُوفِيَّاً .. لأنَّ البَردَ باتَ فِيهَا أَكبَر من مُجرَّدِ اقترابٍ سَريع للشِـتاءْ .. ، أمنيَّـةٌ وَ دُعـاءٌ مِـن وَالـدتها فَتحـت لَهـا الأُفـقَ على مِصْـرَاعيهِ لِتَنـدَثِرَ الغُيـوم أَبعـدَ مِـن خُطوتهَـا ، أَمـا وَالـدهَا فَقَـدْ رَافَقهَا حَتى المُفتَرقِ وَ حَادَ للجِهَةِ المُقابِلَةِ نَاحيَّةَ السُوقْ ..

دَخَلَـتْ دُكانَهـا و البَهجَـةُ تُصـاحِبُ خُطواتهـا الراقِصَـة ، فَتحَـتْ البَـابَ وَ النافِـذَة عَـلَّ الغُبـارَ يُغـادِرُ رُفوفَهـا ، نظَّفَـت الأرضِـيَّةَ و مَســحَت الصَــنادِيقَ وَ رتَبَّــت الأدراجِ ، تَفقَّــدَت مُحتوياتِهَــا وَ سَــجَلت النَــواقِصَ .. سَــقَتْ نَباتَتِهَــا التــي اصـفَرَت أَوراقُهَـا و ذَبُلَّـتْ .. تجَّعَـدَت أزهارُهَـا مـن إهمَـالٍ ، زَرعَـت لَبلابَـةً عَلى عَتبَـةِ النَافِـذَةِ كَـي تَندَسِـلَ خَارِجَـاً ، عَلَّهـا تُقابِـلُ اللبلابَـة الضَـخمَة التـي تتسَّـلَقُ الجِـدار و تُعانِقهـا ، و كَتَبت على اللوحِ الأخضَرِ قُربَ البَابِ " مَفتوحْ " ..

فَتـرَة مـا قَبـل المَغـرِب تَهـدأُ وَتيـرَة الحركَـةِ .. وَ أَسَاسَـاً لَــمْ يَكَــن هُنــاك زَبــائِنُ كُثُــر ، أَعَــدَّتْ كُوبَــاً مِــنَ الشَــايِّ وَضَـعت عليـهِ بعـضَ أوراقٍ مـن النَعنَـعِ البَـرِيِّ ، و وَقَفـت علـى بابِهَـا تسـنُدُهُ .. راحَـت تنظُـرُ في الغُيـومِ التـي تُطـارِدُ الشَـمسَ خَلـفَ الغَابَـةِ و كأَنَّهـا تَـوَدُّ أَنْ تُغطيهَـا مِـن بَـردٍ يتَسَــللُ بــين النَســماتِ ، شَــعَرَتْ بِلَــونِ بُــرودِ الشَــمسِ

فـدَخَلَتْ لِتأخُـذَ شَـالَها وَ تُـدَثِّرُ بـهِ كَتفَيهـا ، سَـمِعَت تَصـفيقاً و صُـراخاً فَخَرجـت مُسـرِعَة لِتَـرى مَشْـهَدَاً جمَّـدَ البَـردَ فِي قَلبَها .. قَبْلَ عُيونها ..

عَـودَةٌ لِصَـيادِي الغُـزلان فِي الغَابَـةِ يَحمِلـونَ عَشـراتِ الغُـزلانِ و يَهتِفـونَ بـالفَوزِ .. و أهـل "لامـارا" يُحيُّـونَهم علـى الطُرقـاتِ وَ مِـن نَوافِـذِ البُيـوتْ ! مَـرّوا مِـن أَمـامِ ناظِرَيهـا ، يتوســطَهُم "ارام" و مَجموعَتــهِ .. كَــانوا خِفافــاً لِيَختفــوا سَـريعاً بِخطـواتهِم الكَبيـرةِ .. لَكِـنَ أثـرَهُم كَـان أثقَـلَ مِـن أن تَحمِلـهُ الطَريـق خَلفَهَـم ، فَقَـد كانَـت قَطـراتُ دِمَـاءُ الغُـزلان تَشهَدُ حَربَاً أَعلنَتْ دَقَّ طُبولَها فِي رَأسِ "ريمْ" ..

أخـذَ المَشـهَدُ نَصـيبَهُ مِـن تـوَّتُرِ أَصَـابِعها.. فَغَبـاشِ رُؤيَتِهَـا ، لِتقفِلَ المَحَلَّ وَ تَعودَ للبَيتِ .. و هِي التي طَلبَتْ مُسبقَاً مِن وَالـدِها أَن يَعـودَ مِـن ذَاتِ الطَريـقِ لِيَصطَحِبهَا مَسَـاءَاً ! ، كَانَت تَمشِـي كَالهَارِبَـةِ مِـنْ أَزمَـةِ جَمـرٍ تُحاصِـرُ قَـدميها .. تَبتعِـدُ عَـن

دِمـاءِ الغُـزلان التـي حَفـرَت الطَريـقِ بِـالأنينِ أَمامَهـا .. لِتتخِـذَ الزاوِيَـةَ الأقـرَبَ للجُـدرانِ أَمَـانْ .. ، و بإنهـاءِ وَالـدِهَا عَملـهُ و مُباشَـرتهِ إليهـا .. وجَـد المَحَـلَ مُغلقَـاً، بَينمَـا لوحَـةُ الإسـتقبالِ قُربَ البابِ تُشيرُ بِغَيرِ ذَلِكْ!

بَدت "ريم" مُختلفَة فِي المَساء ، كانَتْ أَهدَأَ مِن أن تَتكَلَمَ ، و أبردَ مِن أَن تَبتسِمْ .. لَمْ يَسألهَا وَالدهَا سَببَاً لِعَودتها دُونِه ، ولم تُبادِر وَالدتها بِالقَولِ أَنَّها دُونَ قَصدٍ وَقَعَتْ مِنها مِرآةُ ابنَتَهَا و انكَسَـرتْ ! .. ، و كَـأنَّ الطَاوِلَـة الخاصَـة بِمفاوضَـاتِ العَائِلَـةِ وأمسِياتِ المَرح باتَت أقربَ لِمائِدَة طَعامٍ و حَسبٍ ، لِيَتناوَل جَميعُهُمُ العَشاءَ .. بِصَمتْ .

مَرَّ أُسبوُعٌ وَ الأحداثُ تُكَرِّرُ نَفسَها ، الإختلافُ كان بِمقدارِ الوُجُومِ الذي رَاكَمَ تَفَاصيلَهُ في وَجه "ريمْ" ، وَ هُنا كَانَ لا بُدَّ مِن حِوارٍ ، علَّ الحُروفَ إن خَرجَت يَعُمُ الأُنسْ .. ، و رُبَمَا مُفَاجَأةٍ تُنهِي هذهِ الجَولَة مِنَ الحُزنِ الكَثِيفْ .

والدةُ "ريم" و هِي تُعِدُّ مَشروباً سَاخِنَاً مِن الرُمَانْ : حَالُكِ لا تَسُرْ .. فلتَعلمِي أنني أُحِبُّكِ بِكُلِّ لَونْ !

ريم : أعلمُ أمِي .. ليسَ لَونِي مَا يُحزِنُنِيْ ..

والدةُ ريم : ابتَهِجي فقَد أحضَر والدُكِ هَدِيَّة لكِ ..

ريم و قَد رَفعت رَأسَهَا أَخيراً ، لِتَنظُرَ في وَجهِ أبيها : هَدِيَّة .

وَضَع وَالدُهَا يَدهُ في جَيبهِ و أخرجَ زُجاجَةً شَفافَةً ، بِهَا التِريَاقُ الأحمَرْ .

ريمْ : لا تُخبِرني .. أَنَهُ ..؟!

و بِحَركَةٍ لا إراديَةٍ دَفعتْهَا قَدمَاهَا للتَوَجُه نحوَ أَبيهَا ،و أخذِ الزُجاجَةِ مِنهِ و التَحديقِ بِهَا .. ثمَّ أَخذَت تَقول كَأنها تَوَدُّ أَن تَنفِي : دَم غَزْالْ !؟

والدتها : نعَم .. استخدميهِ و سَترينَ مَفْعُولَهُ بَعدَ أَيَامٍ ..

لَم تَسْمَع "ريم" كَلماتِ وَالدتها ، كَانَت تنُظُر لرُكبَتيها التي لَمْ يُسعِفهمَا الهُدوء بِارتعاشَة خَوفْ .. لِتُسقِطَ الزُجاجَةُ مِن يِدِهَا ، و يَسيلَ أَحْمَرهُ قُربَ أَصابِعِ قَدَمَيْهَا ..

والدةُ ريم و هِي تَصرُخُ : مَا الذي فَعلتهِ ؟.. أَتعلمينَ كَمْ تَعِبَ وَالدَكِ لِيَحْصُلَ عَليه.. !

أخفَتْ "ريم" وَجهَها بِيَديهَا وَ رَكَضَتْ نَحوَ غُرفَتها .. ، أغلَقَتْ البَابَ وَرائِهَا ، و ارتَمَتْ عَلى سَريرِها تُريدُ الإختباءَ أو الإختِفَاءَ ، بَكَتْ حَتَّى تَورَّمَتْ عَينَاهَا و احمَرَّت وَجنَتاهَا ، تكَوَّرَتْ عَلى نَفسَها لِتَكونَ أَقربَ لِفَراشَةٍ فِي شَرنَقةٍ .

عمَّ الهُدوءُ بِمُغادَرةِ "ريم" تَلكَ الصُورَة ، و كَان وَالداهَا قَد تَكلمَا بِأَمرِهَا .. لَمْ تَكُن غَريبة رَدَّةُ فِعْلِهَا بِرأي وَالدهَا ، فَهِي تَهابُ الدِمَاءَ و هَذا مَا جَعلهَا لا تَسْلُكُ الطِبَّ أو التَمرِيضَ واتجاهِهَا لِلعِطارَة ، بَينمَا أَسهَبَت وَالدتُها بِوصِفِ خَوفهَا عَلى أَن

يَطالَ الحُزن قَرنيّ ابنتَها فَيَكسِرهُمَا ، بِالتَالي لا يُرغَبُ بالنَظرِ لها .. فَـالزواج مِنهَـا .. و إنَ مُسـتقبلهَا أَصـبَحَ هَاجِسَـاً ثَقـيلاً يُبقِـي قَلقَها مُتأهِباً .. ، أُقفِـلَ على الكَلامِ بِشَـهقَةٍ من كِليهِمَا ، بَينمَا بردَ شَرابُ الرُمانِ وَ بَقِيَ وَحدَهُ يَقِظاً على الطاوِلَة..

***

فِي صَباح اليومِ التالِي .. استيقَظَت "ريم" بِثِقَلٍ ، و كَانت أوَّلَ مَا رأَتهُ عِندمَا أَنزلت قَدَمَيهَا على الأرضِ .. دِماءُ الغَزالِ التي انسَكبَتْ عَلى قَدميهَا ! .. لِتَبدأَ النَهَارَ بِغَثيانٍ و دُوارٍ ! .. ، اتَجَهت لِلمَحَلِ مُتأخِرَةً ، و إذ بِشابٍ طَويلٍ ينتَظِرُ على البَابَ .. سَألتهُ مَطلَبهُ ، فَزادَ اضَطرابُ قَلْبِهَا أَنَهَ طَلبَ " دَّم الغَزالْ " !

دَخَلَتْ بِغَضَبٍ و ضَربَت صُندوقَ الزَعترِ لينـدَثِرَ حَولَها ! ، بالكادِ تَستطيعُ السَيطَرةَ على شُعورهَا بِالضيقِ .. لقَد اكتَفَتْ ذَرعَاً بِكُلِّ ما يَحدُث حَولَها ، حتَى انها جَلسَتْ دُونَ حَرَكةٍ عَلى كُرسِيَّها و هِي تَسنِدُ رَأسَهَا بِيَديهَا .. ، دَخلَ "رئِم" المَحلَ بَعدَ أن طَرقَ البَابْ ، تَعجَّبَ مِنَ الزَّعتِرِ فِي مُنْتَصَفِ المَكَانِ وَ عَلِمَ أنَّ هُنَاكَ خَطباً مَا ..

رئِم : مَرحباً .. جِئتُ أَطمئِنُ عَليكِ ..

رَفعت "ريم" رأسَهَا بِحَركَةٍ بطيئَةٍ ، فَقَدَ عَلِمَتْ أنهُ "رئِمْ" من صَوتِه ..

صُدِمَ " رئِم " من لَونهَا وَ لكنَهُ لَمْ يَسألهَا ، بَلْ انحَنَى يَجْمَعُ الزَّعترَ فِي الصُندوقْ ..

تَقَدمَتْ "ريم" نَحوَهُ وَ دَعتهُ بِحَركَةٍ مِن يَديها أن يَترك مَا يَفعلهُ ، وَ سَألتهُ : كيفَ حَال "ميرال" ؟

رِئم : حَالهَا أَفضل بَعْدَمَا جَلبتُ لَها دَم الغَزالْ .

ريمْ : جَيِدْ .. بَلِغّهَا تَحياتِيْ .

رئم : سأجلِبُ لكِ بَعضَهُ غَدَاً ، لمْ أكُنْ أَعلم أَنكِ أُصْبتِ ..

أخذَتْ "ريم" تَجمَعُ الزَّعتَر و تَتَجَنبُ النَظر فِي عَينيه ،و قَالَتْ : لا أَحتَاجَهُ ..

قَاطَعهَا "رئم" : و لكِن عَليكِ بِه ، قَبلَ أَن يَتَفَاقَمَ وَضعُكِ ..

قاطَعتهُ بِغضَبٍ : لا ، شُكراً لَك ..

فهِمَ "رئم" أن وُجودَهُ غَيرَ مَرغوبٍ بِهِ ، و عَوَّلَ ذَلك لإصابَتِهَا بالمَرض ،فاستأذَنَهَا و انسَحَبْ ..

أدرَكت "ريم" انها أصبَحَتْ عَصبيّةَ الطِباعِ وَ أَن مِزَاجهَا زئبَقِيٌّ لا يَرسُو قُربَ سَلامٍ .. حَاوَلت أن تُرَّتبَ ما يَلزَم من أفكارِهَا ضِمن إطارٍ مَنطِقِيٍّ ، فَهِيَّ مُستاءَةٌ مِن أَمرِ صَيدِ الغُزلانِ ، وَ تجلِدُ نَفسَها لِعَدمِ قُدرتهَا عَلى إيجادِ حَلٍّ يُنقِذُ الطَبيعَةَ و يَمنَعُ هَذا الصَيدَ الهَمجَيَّ ! ، تنَفَسَتْ الصُعَداءَ وحاوَلَت أن تُهدِّئَ مِن نَبضِ الدَفقِ في صَدرهَا .. خَرَجَتْ تُنَظِّفَ

أحواضَ الزَرعِ حَولَ المَحَلِ ، وَهِيَ تُدَندِنُ لَحْنَاً عَلَّهُ يُخرِجُها مِن ذاكَ اللونِ الذِي تَبنَّاهَا بِقتامَتهِ.

عَلِمَ "ارام" بإصابَةِ "ريمْ" ، بدَا الإنزعَاجُ عَليهِ وَاضِحَاً ، هُو يُكِنُّ مَشاعِرَ غَريبَةً نَحوهَا مُنذُ الصِغَر ، لا يُمكِنَهُ أن يَتوِّجها حُباً صادِقاً بَلْ مُضطرِباً .. شُعورُهُ أَقربُ للتَحَدِي في كُلِّ ما يتعلَقُ بِها ، أو العِنَادِ فِي كُلِّ مَا يَدورُ حَولَهَا ، لا يُمكِنُهُ ايجادِ كَلِمَةٍ تَصِفُ أهميتهَا لَهُ ، فَهوَ لا يُحبِهَا و لكنَهُ يُحِبُّ أن يَراهَا غَاضِبَة مِنْهُ !، إنهُ شعورٌ مُريبٌ مِنهُ لَكنَهُ صَادِقٌ على الأقلِ ، حَاوَلَ أن يأخُذَ الأمرَ على مَحْمَلِ الجِّدِ ، بِصِفَتهِ صَديقَ طُفُولتهَا و رَفيق شُعلتها ، فاكتَفَى بإصطيادِ ثَلاثَةِ غُزلانٍ ، ليَنسَحِبَ عَن المَجموعَةِ و يَترُكَ الغَابَةَ خَلفَهُ ، مُتَجِهاً نحوَ مَحَلِ العِطارَة.

رآهـا مُنسَـجِمَةً لَحْنَـاً و لَونَـاً ، تَقْطِـفُ زَهـر البَـابونِج ، تَختـارُهُ بِعنايَـةٍ و تَـنفضُ عَنـهُ الغُبـارَ .. ثـمَّ تَضَـعهُ بِصَـحنٍ مِـن قَـشْ ، اقتَربَ مِنْها أكثَر ، انتَبَهتُ لهُ ، و إستَدارَت نَحوَه ، وَقالَت : ارام.. ما الذِي أتى بِكَ ..؟

ارام و هوَ يَحيدُ بِنَظرهِ عَنها : نَعمْ ، بالصُدفَة ..

ريمْ : تَعني أن "رئِم" لَمْ يُخبِرك ..؟

ارام وهُـوَ يُحـاوِلُ إخفَـاء الكِذبَـةَ وَراءَ ظَهـرِه ، و يَتخِّـذُ مَلامِـحَ الصَدمَةِ : شَفتيكِ ؟

ريمْ و هي تُشيرُ لَهُ بالإبتعَادِ عَنها : أَبعدْ صَيدَكَ عَنيْ ..

دَخلَ "ارام" المحَل و هو يَحمِلُ الغُزلان ، وَضَعَهَا على الأرضِ ، لِتَتبعَهُ و هي تَتفادَى النَظرَ لَهُ و لِمَا يَحمِلهُ .. وَ تَسألهُ :مَا الذي تَفعلهُ..؟

ارام : سَأسحَبُ بَعضَاً مِن الدَّمِ ، لَكِنَّ يَديَّ مُتسَخِتان ، و أَشارَ لهَا أن تَقتَرِبْ .

ريمْ : لا تَفْعَل هذا هُنَا ! لَنْ أبيعَهُ !

ارام : هوَ لأجلِكِ ..

وقَفَتْ "ريم" وَقفَةَ الصَّنَمِ بَعدَ خُطوَةٍ لِلأمامِ وَ خُطوتينِ للخَلفِ ، حَاولَتْ استيعَابَ كَلِماتِ "ارام" ،و لَم تُفلِح بالبَحثِ عَن مَعنًىً وَاضِحَاً .. جَرحَ "ارام" الغَزالَ بِالقُربِ مِن عُنقهِ لِيَفورَ الدَّمُ الدَافِئ لِثوانٍ .. أَخذَ مِنْهُ مَسحَةً لَطَّخَتْ كَفَّهُ ، و اتجَّهَ نَحوَ "ريم" التي لَمْ تُحَرِك سَاكِناً و هِي تَنْظُرُ لِلغَزال بِرأسٍ مَائِل .. ومَسَحَ بِيدهِ عَلى شَفتَيهَا !

يَدُ "ارام " لَمسَتهَا .. وَدَم الغَزالِ المِسكينِ يَنزِفُ فِي داخِل مَحَلِّهَا ! ، أَيُهمَا أَثارَ جُنونَها أكثَر ، لَمْ تَدرِي ! ، لِتُخبِئَ فَمهَا بيَدِهَا وَتَبدأ بِالبُكاء ، ارتبَكَ "ارام" فَهوَ لَمْ يَنوِ ذلِكَ ، و زادَهُ صَخَبَاً بِحركتهِ عَدم مَعرفتهِ كَيفية الخُروجِ من المَوقِفِ مَهمَا نظَرَ حَولَهُ.. حَاوَل أن يَقتربَ مِنها أَكثَر .. فَدَفعَتهُ بِقوَّةٍ دُونَ أَن تتنبَه لمَا وَراءَهُ ، لِيَتَعثَرَ بِأَقدامِ الغُزلانِ و يَسقُطْ !

نَهضَ وَحدَهُ.. اقتربَ مِنهَا بِحَذَرٍ ، أَنزلَ يَديهَا عَن وَجهِهَا بِقوَّةٍ و قالَ لهَا : أُنظري إليْ .. لَمْ أقصِد إخَافَتَكِ ..

لتَرُدَّ عليهِ بِصَوتٍ خَافِتٍ : اترُكنِي ..

أبعَدَ يَديهِ عَن يَديهَا ، وَ تَنبَّه كِلاهُمَا أَن الدَّمَ غَطاهُمَا ، حَاوَل أن يَمسَحَ يَديهَا بِوِشاحٍ كَان قَد رَبطَهُ عَلى مِعصَمهِ.. ، لا تَزالُ تَبكِي ، فَأخذَ يَقُولُ : " أنَا أَسِفْ ، أَعلمُ أنكِ تَهَابينَ الدَّم .. فَعلتُ هَذا ، لأنني ." ، نَظَرَ فِي عَينيها ثُمَّ صَمَتْ ..

ريمْ وهي تَمسَحُ دُموعَها بِطَرفِ كُمِها : لأنَكَ .. مَاذا ..؟

ارام : .. لأنني يا رِيمْ أُحِبُّكِ .

ابتعدَ "ارام" حِينما لَمْ يَجِد مِنها ردَّاً أو فِعلاً و أقلّهَا إيمَاءةٌ ، حَمَلَ الغُزلانَ مِن على الأرضِ ، فأفسَحَتْ لَهُ مَجالاً لِيخرُجَ ، مرَّ مِن جَانِبَها ، و هَمَسَ بِلُؤمٍ قُربَها : نَظِّفِي الأَرضيّةَ جَيْدَاً .

***

الأيامُ فِي "لامارا" تَشهَدُ أَحداثَاً صَاخِبة مُؤخراً ، مِن تَقديرِ الصَّيادينَ و تَقليدَهُمُ النُجومَ مِن قِبَلِ العُمدةِ بِحَفلٍ بَاتَ طَقسَاً أُسبوعِيَاً حافِلاً يُقامُ وَسَطَ القَريَةِ.. و اقبَالِ الفَتياتِ على انتِقَاءِ الصَّيادِين أَزواجَاً ، حيث إنَّ أَغلبَ الفَتياتِ أُصِبنَ بالداءِ الغَريب ، و كَان لا بُدَّ مِن حَلٍّ مُستَدامٍ لِبياضِ مَا مسَّهِنْ.. بِرأيِهِنْ .

بَدأتْ تَتحَسنُ أَحوالُ الفَتياتِ ، و يَخرُجنَ مِن دَائِرةِ حِصارِهنْ ، لِتَعودَ الحَركَة فِي القَرية إلى ما كَانت عَليهِ .. تَتَزَينُ الأَسواقُ بِالفَساتينِ المُطرَّزَةِ بالخَرَزِ ، و الصُوفِ المَجدولِ بِعنايَةٍ ، والحِليِّ المَصنوعَةِ من قُشور الفُستقِ الأخضَرْ ، وأساوِرَ الوردِ المُجَفَفِ ، و خواتِمِ الأحجارِ الزُمرديَّةِ و اليَاقوتْ ، كما و ازدَهرَت حَركَة الصَيدِ رُغمَ مَوسِمِ الشِتَاءِ البارِدِ الذي

يَشكُو فِي الغَالبِ مِن ضَعفٍ ؛ لإختباءِ الحَيواناتِ و الطُيورِ .. بِالمُجمَلِ عَادَتْ القَريَةُ لِلحَيَاة .

***

مَساءٌ بارِدٌ ، قَضَتهُ "ريم" أَمَامَ المَوقِدِ ، أَشبَهَ بِقِطَّةٍ كَسُولَةٍ تُجيدُ الغَفْوَ بُكُلِّ أركَانِ المَنزلِ .. ، تُفَكِّرُ بِـ "ارام" و كَلمتِهِ التي بَقيَتْ تَرِّنُ فِي مَسَمعِهَا كُلمَا حَاولت تَفادِي ذِكر اسمِهِ أَمام نَفسِها ، و بِالغُزلانِ التِي انقضَتْ حَيَاتُها و استُنزِفَتْ دِماءُهَا مِن أَجلِ دَواءٍ لبنِي البَشَرِ .. و آخِرُ الأَمرِ ؛ شُحُوبِهَا و لَون شَفتيهَا ..

دَعتها أُمُها لِتَناوِل العَشاءِ ، فَتَمنَّعَتْ بِحِجَّةِ عَدَمِ شُعورِهَا بالجُوعِ ، فَاقتَربَ وَالدهَا مِنهَا قَليلاً و نَادى باسمِهَا ، لِيرمِي لَها بِثَمرَةِ رُمانٍ ، و تُجيدَ إلتقاطَها و يَتَبادَلا الإبتِسامَة .. عدَّلت من

جَلسَتها و بدأت تَتَحَسَسُ قِشرَة الرُّمانَةِ الجَميلَةِ التي تنفَرِدُ بها مَزرَعتهُمْ ، و كَمْ اشتَاقَتْ لِتَلميعَهُ و وَضعَهُ فِي الصَنادِيق أيام كَانت تُساعِدُ والدَها .. ، أخذَت تُقَشِّرُهَا بانسِجامٍ وَ تراكُمِ الحَبّاتِ دَاخِلَ الثَمرةِ ، و تَتَناوَلُهَا بِشرودٍ .

ذَهبَت للنَومِ عَلَّهَا تَنسَحِبُ مِنَ الأفكارِ لِمَنامٍ آمنٍ ، لكنَ تِلكَ الأَفكارِ كَانت تُثرثِرُ بِصَوتٍ أوضَح و يَرُدُّها الصَّدَى ، كانت تُحاوِل اغلاقَ اذُنيهَا باعتقادِهَا أن الصَوت يأتِي مِن خَارِج رأسِها ، لكنَّهُ ما كانَ يَهدأ .. كمَا و تَراكَمَتِ الصُوَرُ جَميعُهَا فِي زاوِيَةٍ واحِدَةٍ لِتَتَداخَلَ مَلامِحُ الأماكِن و تَفاصِيلُ الوُجوهِ ، تَربعَ على عَرشِ لَيلها صُداعٌ تَداعَى من ضَجيجهِ قَرنُهَا ..! ، أرادَت لَو تُنادِي "ارام" لكِنَها رَأتهُ يَخرجُ مِن المُشاهَداتِ عَلى أصابعهِ حَدَّ انحِساره وَراءَ الضَبابِ.. تَارِكَاً خَلفَهُ غُزلانَهُ تَقطُرُ بَلوراتٍ مِن الزُمُرُّدِ تَتَجمَّدُ حِينَ تُلامِسُ الأرضَ ، هُنا بَدأت تَنجَذِبُ البَلوراتِ نَحوَهَا و تَتَسارَعُ .. دَخَلَتْ قَلبَهَا دُون استئذانٍ ، صَنَعَتْ دَرباً مِن عُقدَتينِ .. و لَمْ تَترُك أيَّ نُدبَةٍ !

استيقَظَت "رِيمْ " و هي تُحاوِل تَمَالُكَ أَنفاسِهَا ، أخذَت تَتَحَسَسُ مَوضِعَ قَلبِها الذي كَادَ يَتعثَرُ بِفوضَويَة النَبضِ .. أرادَتْ لَو تَشرَبَ بعضَ المَاءِ ، أَخذَت تَبحَثُ عَن كَأسٍ كَانت وَضَعتهُ قُربَ سَريرها ، التَقَطتهُ و سَكَبَتْ الماءَ على وَجهِها ، عَلَّها تَمحِي ذاكَ الشُعور و تَصحُو .. رَفعَتْ رَأسها إلى السَماءِ بِأُمنيَّةٍ لَمْ تَدري بِما تُذَيلُها ، و أَطرَقَتْ مُطأطأَة إيَاهُ فَجأة ، و إذْ بِقَرنِهَا يَهمي إلى الأرضِ..!

أَمسَكتهُ بِيدِهَا و رَاحَت تَتأكدُ مِن فُقْدانِهَا لَهُ بِلمسِ مَوضِعهِ ، شَعرَت بِهُدوءٍ أَشبَهَ بِالبَردِ يَطالُ غَفْوَتها ، تَراءَتْ لهَا خَيالاتٌ مُشبَعَةٌ بالنُجُومِ .. وبَدا صَوت "ارام" يُنَاديهَا مِن بَعيد ، فَأَغلَقَتْ عَينيها عَلَّها تَراهُ .. لَكِنَّ صَوتَهُ كان يُسافِرُ أبعدَ ، و كُلَّمَا حَاولت اللحَاقَ بِالصَوتِ .. بَدَتْ عُيُوُنَها أثقَلْ ، أدرَكت أَنَها بَاتَت كَائِناً مَنْقُوصَاً ، مَشبوهَةً بِالحُزنِ .. مَسكونَةً بِالعَجزِ ، و نَامَتْ .

***

استيقَظَتْ وَالدتُها وَ رَاحت تُناديهَا لتُسرعَ نَحوَ مَائِدَةِ الإفطَارِ ، فَتَحت "ريمْ" عَينيهَا بِحُنُوٍ .. لَمْ تَرى غَيرَ سَقفِ غُرفتهَا المُزيَّنِ بِالنُجومْ ، التفَت يَميناً و يُساراً .. لِتَطمئِنَ أنهَا لا تَزالُ على قَيدِ الوُجودِ .. بِمكَانٍ ثَابِتٍ لا يَدور بِها ، وَ ألوانٍ وَاثِقَة بِأنها من انتَقتهَا ذات طُفولَة .. ، جَلسَت و أَخذَت قَرنَها المَكسورِ .. وَضَعتهُ مَكانَهُ و رَبطَتهُ بِشَريَطَةٍ حَريرَيةٍ ، و مَا إن أخذَتْ خُطوَةً ..حتَّى وَقَعْ !.. أَعادَت الكَرَّةَ ، وَ لكنَهُ لا يَثبَت .. ، استَسلَمَتْ بِعَدمِ وُجودِ مِرآتها التِي قَد تُساعِدهَا ، و عَقَدَتْ العَزمَ بِشراءِ وَاحِدَةٍ مِن السوقِ لاحِقاً !

والدُهَا و هُوَ يَسكُبُ الشَّاي : صَباحُ الخَير ..

وَالدتُها وَ هِيَ تُعِدُّ صُندوقَ طَعامهمَا لرِيمْ : كَيفَ تَشعُرينَ اليَومْ ..

"ريـم" و هِـيَ تُحمِـلُ قَرنَهَـا بِيَـدِهَا ، جَلَسَـت على الطَاوِلَـةِ : التَقَطَـت كَعكَـة وَ أخـذَت تَأكُلهـا و هِـي تُكَّلِـمُ وَالـدَها بِـأَن يَمُـرَّ عَليها لِيَصطحِبهَا حِين يَعودَ مِنَ السُوقْ ..

انتَهـت والـدتُها و جَلسَـت مُقابِـلَ "ريـم" ، اندَهَشـت مِـن رُؤيَـةِ القَرنِ المَكسورِ عَلى الطاوِلَة وَ شَهقَتْ : لا ، لِمَاذا ؟!

هُنَا تَنبَّهَ وَالدُها حِينَ أَمعنَ النَظرِ و قَال : لا عَليكِ .. هَل أَجلِبُ الطَبيبْ ؟

"ريمْ" و هِيَ تَحشو بَقِيَّة الكَعكةِ في فَمِها دُون مُبالاةٍ بِالمُفاجأةِ التي أَربَكت بِها صَبَاحَ وَالديهَا : لا .. أَشعرُ بَتَحَسُنٍ ، أُريدُ مَزيدَاً مِن هذا الكَعكِ يا أُميْ !

أخذَت وَالدتُهَا القَرنَ المَكسوُرَ و رَاحَتْ تَنظُر إليهَا وَ تَتَمنَّى لَو تُكَذِّبُ عَينيهَا مَا تَراهُ ، و قَالت لهَا : لَو أَخذتِ التِريَاقَ مَا كَانَ سَيحصُلُ هَذا ؟

ريمْ : هَذا حَصَلَ لأَنَني استخدَمتُهُ بالفِعلْ..

رَفعَ والدهَا حَاجبَه وَ قَال : حَقَاً ؟

ريمْ : نَعمْ ، أَو رُبمَا لِسَببٍ آخَر .. لا أَعلَم .. لَكِنْ ..

والدتُهَا : مُتأكِدَة أنَكِ بِخَير ؟

أَومَأت "ريم" بِرأسِهَا بِأَنهَا كَذلِك ، مَع أَن عَينيهَا كَذَّبَتهَا بانهِمَارِ دَمعَةٍ ..

توجَّهَ والدُها نَحوها ، و قالَ لَها : لا عَليكِ .. أَنتِ حَبيبتي بِكُلِ حَالٍ ، وَ لمْ يَنتقِصْ مِنكِ القَرنُ المَكسُورُ شَيئاً ..

بينَما وَالدُتهَا حَاوَلت ابتلاع غَصَّتهَا و احتِبَاسِ دَمعتها، و قالتْ لهَا : سَأعِدُ لكِ اليَوم مَزيداً من هذا الكَعك .. عُودِي للبَيتِ باكِرَاً ..

مَسحَت "ريم" عَينيهَا وَ نهضَتْ تُجَهِّزُ نَفسَها للخُروجْ ..

***

انشـغالُ "ريـم" بِالعَمـلِ عَلى تَركيبتهـا الطِبيَّـة و أَبحاثِهَـا وَ تَجارِبها ، لَمْ يُثنِهَا عَـنِ الذَهَابِ إِلى السُـوقِ ذَاكَ اليَوم ، رُغـمَ أَنَّ السَـمَاءِ كَانـت تُمطِـرُ إلا أَنهَـا رَغِبَـتْ بِـالخُروجِ .. انتَقَـتْ بَعـضَ أَسـاوِرَ ذَهبيَّـة لتَتَخِـذهَا هَديَـة لِـصديقتهَا "مِيـرال" ، وَ دَبـوسِ شَـعرٍ جَميـلٍ كَـي تُـبهِجَ وَالـدتهَا ، بَينمَـا اشـتَرتْ لِنَفسِـهَا مِـرآةً مُزخرفَةً حَوافُهَا الخَشَبيةُ بِالزُهورِ وَ مِقبَض يَده مَزهُواً بِجواهِرَ قُرمزيّةٍ تُشبِهُ التِي تَراءَتْ لِها فِي الحُلُمْ !

صَدَفَ أن كَانَ "ارام" فِي السُـوقِ يَشحَذُ سِكينَهُ لَدى الحَداد، تَنبَه لِقَرنها و شَـعَرَ بالسُـوءِ ، أَرادَ أَن يُكَلِمَها .. لَكِنهُ لَمْ يَدرِ بِمَا يَبدأُ حَديثَهُ بَعدَ مَا حَدثَ بينهُمَا ، فَكَّرَ بِهدَيـةٍ قَـد تُبهِجُهَا.. ، و لأنَهُ انْهَى مَهمَّتهُ ، فَقَد سَبقها لِمحَلِّها وَ تَركَ صُندوقَاً خَشبياً عَلى بَابِهَا و انسَـحَبَ ، وَ كَـانَ قَـد أَرفَقَـهُ بِورقَـةٍ أَلصَـقهَا عَليـهِ ، كَتبَ فِيهَا :

" اعتذرُ مَنكِ ..

وَ رأسُ الدُّبِ ذُو العَينِ الوَاحِدَةِ هُوَ اعتذَارِي ..

تَقبليهِ بإعتِزازٍ ، ارامْ . "

***

بِإنهَـاءِ "ريـم" لِجَولتهـا القَصـيرَةِ ، كَانـت السَـماءُ تَصـفو و الغُيـومُ تَسـتقِرُ قُـربَ رُكـنٍ قَصِـيٍّ عَـن "لامَارا" ، وَ قَـوسُ المَطَرِ يَخرجُ مِنَ الغَابَةِ لِينتهِي قُربَ بيادِرِ القَمحِ .. أَمَا الطُرقَاتُ فَقَد اغتَسَـلَتْ بِرائِحَـةٍ أَطلَقَـت العَنـانِ للأَزهـارِ الخَجْلى بِـأَن تَحتَّـلَ المَدَى و تَنسَـجِمَ مَعـهُ .. ، كَانَتْ تَحمِلُ كِيسَـاً بِحَاجِيَاتِهَا التِـي انتَقَتها ، وَ تَسيرُ بِبُطءٍ كَفراشَةٍ تَمُرُّ عَلى سَطحِ المَاءِ ثُمَّ تَطيرْ ، و إِذ بِفراشَـةٍ بَيضاءَ تَخترِقُ المَجالَ .. تَحومُ أَمَامَ عَينيها ، تدورُ حولَها مُتراقِصَة ، ثمَّ تَحطُّ عَلى زَهرةِ خُشخاشٍ حَمراءَ ، تَبِعتهَا .. نَظَرَت اليَها بِتَمَعُنٍ ، و حِينمَا اقتربَتْ مِنها أَكثَر .. طارَتْ ..! ، قَطَفَتْ "ريم" تِلكَ الزَهرَة قَانيَّةَ اللَّونِ .. وَ ابتَسَمَتْ.

حِينمَا وصَلت لِمحلِ العِطارةِ ، رَأت الصُندوُقَ ، دَارَت حَولَهُ مَرتينِ ، انتَبَهتْ للرِسالَةِ ، أَخَذَتْ تَقرأُها ثُمَّ غَضِبَتْ وَ صَرخَتْ "تباً لَكَ يَا ارام" !.. ، نَظَرَت حَولهَا عَلَّها تَجِدهُ فَهو يَتَلّذَذُ بِرُؤيتها غَاضِبَة ، لَمْ تَجِدهُ ، تَجَاهَلَتْ الصُندوقَ وَ دَخَلَتْ المَحَل .. وَ هِيَ تُتمتِمُ " فَقَدَ عَقلَهُ تَماماً .. ، لا عقلَ لهُ على ما أَظُنْ ..و يُريدُنِي أَن أفقِدَ عَقلي؟ " .. ، عَادَت لِعَملهَا وَ كَانَت قَد كوَّنَتْ بَعضَ أفكَارٍ تُريدُ تَجربتها ، فَهِي لا تَزالُ تَدرسُ امكانيَّةَ صُنْعِ عَقارٍ بِمُكَوِّنٍ طَبيعيّ .. ، نَسيَّتْ تَماماً أَمرَ الصُندوقِ .. وَ إِذْ بِهِ يُصدِرُ أَصواتاً مَا إِن تُحاوِلُ التَركيزَ فِيهَا حَتى تَنطَفِئْ ! ، تَعَجَبَتْ وَ تَوجَهَتْ نَحوَهُ بِحرصٍ .. تَوَّهمَت أَنهَا تَتَخيَّلُ ذلِكَ ، وَ إِذْ بِهِ حَرَكَة داخِلَهُ ، ارتَعَدَتْ..! ، كَيفَ لِرأَسِ دُبٍّ أَن تَتَحرَّك..!؟ ، حَاولَت أن تَستَجمِعَ قِواهَا ، اقتَرَبت أَكثَر ، وَضَعَت اذُنَهَا قُربَ الصُندوقِ .. تَأكدَّ لَها وُجودُ حَياةٍ دَاخِلَهُ ، بِيَدينِ مُرتجفتينِ فَتَحت الصُندوق ، فَقفزَ نَحوهَا أَرنَبٌ أَبيضُ جَميلٌ ..

***

بِحُلوُلِ المَغِيبِ ، انتَظَرَتْ وَالدَهَا لِيعودا مَعاً إِلى البَيتِ ، سَألَهَا عَن الأرنَبِ وَ أخبرتهُ ، وَ تَعجَّبَ كَونَهُ لَيسَ فِراء أرنَبٍ اصطادَهُ لها "ارام" فَأطلَقَ ضِحكَة ، ثُمَّ تَتابَعتْ الضَحِكات حِينَ أخبَرتهُ بِمقلَبِ "ارام" عَن رأسِ الدُّبِ ، فَسَألَهَا وَالِدها مُمازِحاً "ومَاذا عَن "ارام" ؟ ، أَظنهُ رَجلاً

يُعتمَدُ عَليهِ ؟" .

نَظرتْ "ريم" نَحو أَبيها وَ أَجابتهُ : بَلى .. رُغمَ أنهُ صَيادُ دِبَبَةٍ ..

والدهَا : مُنذُ مَتَى تَتَعاطَفينِ مَع الدِبَبةِ !

"ريم" و هِي تُحاوِلُ الإسراعَ لِتَنسَجِمَ وَ خُطواتِ وَالدهَا : مُنذُ وَقتٍ بَعيدٍ .. جِداً ..

ردَّ والدهُا و هو يَضحَك : مُنذُ كُنتِ تُلَقِّبينَ "ارام" بالدُّبْ !؟

توقَّفَتْ "ريم" وَ بدَا عَليها الخَجَل .. استعجَلهَا وَالدُها وَهوَ يَبتَسِمُ وَ يُشاكِسُهَا : هيَّا ..و إلا أَخبرتُ وَالدتُكِ عَن أَمرِ الدَبدوبْ..

ريمْ مُتَململِلَة : لا تَفعَلْ هذا يا أبِي.. لَيسَ الأَمرُ كَما تَراهُ ..

بِتَجَمُّعِ أَفرادِ العَائِلَةِ مَعَاً ، أَعطَتْ "ريم" وَالدتَها دَبوسَ الشَعرِ ، أَرادَتْ أَن تُسعِدَ قَلبهَا وَ لَو بِشَيءٍ بَسيطٍ ، وَ تُطمئِنهَا عَلى حَالها و أَحوالهَا ، خَاصَةً أنهَا كانَت قَد وَضَعَت قَرنهَا المَكسور فِي غُرفتها ، وَ كانَت تَراهَا تَنظُرُ مُطولاً إليهِ ! ، رُغمَ أن "ريم" تَبدو بنَفسِيَّةٍ أفضَل ، إلا أَن وَالدتهَا بَدَتْ مُنسَحِبَةً نَحوَ كآبَتهَا.. ، فَاتجَهَت نَحوَها وَ أخبَرتهَا أَنها تَقريبَاً وَصَلَتْ لِمُرَكَبٍ سَيجعُلُهَا تَستعيدُ رَونَقَهَا وَ تُعيدُ لِكُلِّ فَتياتِ "لامَارا" وَ فَتياتِ القُرَى المُجاوِرَةِ ، بَل فَتياتِ العَالمِ أَجمَع .. مَا يُعيدُ لَهُنَّ لَونُهنَّ وَ سَعادَتهُنَّ ، وَ أَنها الآن تَعلَمُ سَببَ مَوتِهِنَّ !

وَالدتُهَا : تَقولينَ هَذا لِتَجعلينِي أَفضَلْ ..

ريم : أُمِي .. ثِقي بِيْ .

وَالدتُهَا وَ هِيَ تَنظُرُ فِي وَجِهِهَا : لا يُهمُنِي أَمرُ أَيُّ فَتَاةٍ ! فَقَط أنتِ يا ابنَتِيْ ..

"ريمْ" و قَد أَمسَكَتْ بِيَدَيّ وَالدتَها : أُمِيْ .. لَنْ أَموتَ حُزناً ، ..

رَبَتَت وَالدتُهَا عَلى رَأسهَا وَ قَالتْ : أُريدُكِ سَعيدَة.. إلى الأَبَدْ .

***

زَهرُ الخُشخَاشُ الأَحمَرِ يَقِفُ شَامِخَاً رُغمَ بُرودَة الطَقسِ ، بِعُودهِ السَامِقِ تَتَدَّلى مِنهُ زَهرَةٌ وَحيدةٌ لِكُلِّ سَاقٍ .. قَطَفَتْ من الزَهرَةِ بقدَرِ مَا وَجدَتْ ، وَ توَّجسَت خَوفَاً مِن التَوَّغُلِ أكثَر دَاخِلَ الغَابَة ، فَلا غَيرِ أَعتابهَا مَسمُوحَةٌ ، لأنَّ المَخاطِرَ فِي الدَاخِلِ تَترَّصَدُ أَيَّ أثرٍ ، بَدَتْ "ريمْ" مُتَسِخَة بِالطِينِ .. مِن قَدميهَا حَتى رَأسِهَا .. لِيَراهَا "رئمْ" وَ قَدْ كَان مُنسَحِبَاً عَن مَجموعَةِ الصَيدِ لِوَعَكَةٍ أَصابتهُ ، سَأَلَهَا سَببَ وُجودهَا هُنَا وَ إن كَانَتْ تَحتاجُ لِمُساعَدةٍ وَ هُوَ الأَولى بِطَلبِهَا مِنها بِهيأتِهِ الوَاهِنَة .. فَرافَقهَا إلى المَحَلِ ، وَ أعدَّت لَهُ مَا قَدْ يُساعِدُهُ عَلى استعادَةِ

نَشـاطَهِ ، وَ كَـررَّت عَليـهِ ضَـرورة أَن لا يُنهِـكَ جَسَـدهُ بِسَـببِ ضَعفِ بِنيَتِهِ وَ أَن يَنتبِه عَلى صِحتِهِ أَكثَر ، أَعطَتهُ كِيسَاً مِن زَهر البَابونِجِ ، وَ ائتَمَنتهُ أَن يُبَلِّغَ تَحياتِهَا إلى"ميرال".

حَالمَا غَادَرَ ، بَقيَّتْ تَعمَلُ بِجِّدٍ .. حتى نَسِيَت أن تُطعِمَ الأَرنَبَ الذي ضَاعَ بَينَ صَناديقِ الرُمَّانِ وَ قِشرِهِ المُجَفَّفَ و زُجاجَاتِ عَصيرِهِ ، رَاحَت تَبحَثُ عَنهُ في سَلَّةِ زَهرِ الخُشخاشِ و أطباقٍ تَحوِي بُذورُهُ وَ أَرضِيَّةٌ تَناثَرت عَليها بَتلاتُهُ .. لَمْ تَجدهُ فِي كُلِّ هَذهِ الفَوضَى التي تَراكَمَتْ على الرُفوفِ و الأَرضِ ، لَمْ يكُن بِأيِّ مَكانِ و لا حتَّى بِصُندوقِهِ الذي اعتادَهُ لهُ مَسكَناً .. ، أحضَرتُ بَعضَ أَوراقٍ مِن الخَّسِ وَ الجَزَرِ ؛ لِتَراهُ يَقفِزُ مُسرِعَاً نَحوهَا ، حَمَلتهُ للأعلَى و رَاحَت تَتلَّقَفهُ و هِيَ تَضحَكُ و تُتَمتِم : فَلْنَحتفِلْ يا "ارام" الصَغيِر .. سَتلعَبُ مَع الغُزلانِ عَمَّا قَريبٍ بَدلَ أنْ تَقُومَ باصِطَيادِهِمْ.

وضَّـبَتْ المَكـانَ و نَظفَتـهُ ، وَ كَانـت تَحلُـمُ بِعـودَةٍ سَـريعَةٍ للبيتِ كَي تَسْتَحِمَّ بَعدَ عَناءِ يومٍ طَويلٍ بينَ الغابَةِ و الفَوضَى .. كَي تَزُفَّ خَبر نَجَاحِ دَوائِهَا ، وَ تُجَرِّبَهُ ، و هَذا مَا كَانْ.. ، لِينتهِي المَساء بِكُوبِ شَايٍّ و كَعكَةِ تُفاحٍ أَعَدَّتهَا وَالدتهَا احتفَاءاً بِهَا .. ، و تَنسَحِبَ لِغُرفتهَا كَي تَنظُرَ لِوَجهِهَا فِي مِرأتهَا الجَديدةِ بَعدمَا وَضَـعَتْ عَلى شَـفتيها بَعضَـاً مِـن مُستحضَـرهَا التَجْميلِي وَ تُجَّرِبَ كُلَّ أَشكالِ الإبتِسَامَة !

***

ارتَدَتْ "ريمْ" أَجمَلَ ثِيابَها ، وَ توجَّهَت نَحوَ مَحَلِ العِطارَةِ ، أَخذَتْ قَلمَاً و كَتبَتْ اعلاناً بِتوفُرِ مُنتَجٍ طَبيعِيٍّ يَحُدُّ مِن أَعراضِ الوَبَاءِ وَ يُساعِدُ الفَتَيات فِي استعَادَةِ قُرونهنَّ .. و ابتسامَتَهِنَّ ، و أَنها سَتعلِنُ الأَمرَ بِتَجَمُّعِ أَهْل "لامارا" ..

بتَجَمُّعِ أَهلُ القَريَة .. وَ أَخذَ الكَلام و الدَهشَةُ يُتَداولانِ كما تَحيَّة الصَباحِ ، خَرجَتْ "ريم" تَحمِلُ زُجاجَاتٍ صَغيرَةً تَحمِلُ سَائِلاً أَحمرَ اللونِ ، نَظَرَتْ فِي الجَمْعِ الذي وَجهَّوا نَظرهُم و انتِبَاهَهُم لَهَا ، وَ قالَتْ : "صَباحكُمُ خَيرِ ، أَبَشِّرُكُم بِأنني قَد تَوصَلتُ لِدواءٍ سَوف يُساعِدُ الفَتياتِ و يُوقِفُ صَيد الغُزلانْ" .

تَقدَّمَ أَحدهُم وَ سَألَهَا : مَا الذي يُؤكِّدُ لنَا ذلِكْ ..!؟

ريم : التَّجرِبَةُ خَيرُ بُرهانٍ ..

فَقَال آخر : مَا هُو مُكَّونهُ ؟ هَلْ هوَ آمِن..؟

ريمْ : نعَمْ ، إنَّ مُكونِّهُ الرئيسِ هُوَ الرُّمَانُ الأَحمَرْ .

تَصاعَدتِ الأَصواتُ مِن الجَمعِ و كَانوا يَنظُرونَ لِبَعضِهِمِ البعض ، منهُم الذي ابتهَجَ عَن ابنتهِ ،وَ مِنهُم مَن استَاءَ خَوفَاً عَلى رِزقَهِ ،وَ هُنا أَخُصُّ بالقَولِ التُجَارِ وَ الصَّيادِينْ ، فَتَقَّدَم أَحَدُ الصَّيادِين يَسأَلُهَا : هَل تَعتقدين أَنَّ الرُّمَان دَواءْ !؟

"ريمْ" مُشيرة لِزُجَاجاتِ الدَواءِ : هَذا لَيسَ عَصيرَ رُمانٍ ، إنهُ مرَّكبٌ طِبيٌّ و يؤخَذُ بِجُرعاتٍ مُحدَّدَةٍ ..

تَقَدَّمَ أَحدهُم : مَاذا عَن الشُعُور الدَائِم بِالغَثيانِ الذِي يُصِيبُ ابنَتِي ؟

ريمْ : سَيُقَلِّلُهُ مِنهُ وَ يُشعرُهَا بِالتَحَسُنِ .. أَضمَنُ لَكَ ذلِكَ ، كَما أنهُ سَيُقَلِّلُ مِن نَوبَاتِ الصُداعِ الشَديدِ .. وَ يَجعلُهَا تَنامُ لَيلاً دُونَ أَرَقٍ وَ كَوَابِيْس ..

ابتهَجَ الرَجُلُ وَ تَقدَّمَ مِنهَا : كَمْ ثَمنُهُ ؟

ريمْ : سَيكونُ مَجَانَاً لِمُدَّةِ أُسبوعٍ حَتى تَتَثَبتوُنَ صِحَّة كَلامِي .. و نَتيجَة مُنتَجِيْ .

الرجُل : حَسنَاً يَا ابنتِي أُريدُ وَاحِدَة ..

تَهَافَتَ الآخرونَ لِلْحُصولِ عَلى الدَواءِ ، و بَدَت الحَركَةُ أَمامَ مَحل العِطارَة نَشِطَة ، أَمَا "ريم" وَ مُنتَجُهَا فَقد كَان حَديثَ القَريَةِ .. وَ حَدَثَهُمُ الإستِثْنَائِيْ .

***

عَلِمَ "ارام" بالأمرِ من الصَّيادين .. تَعَجَّبَ مِن الأَمرِ وَ أَيقَنَ مِن مَعرفَتِهِ بِهَا أَنهَا بِالتَأكيدِ جَادَّةٌ بِخُصوصِ ذلِكَ ، وَضَعَ يَدهُ عَلى خَدِّه بَينما بَدأت استِراحَةُ الصَيدِ بإنتصِافِ النَهَارِ ، وَ أَخذَ يُفكِّرُ بِأَبعادِ المَسألةِ عَلى الصَيدِ عُمُومَاً ، وَ عَليهِ خَاصَةً .. كَيفَ لا ..وَ هُوَ عَميدُ الصَيادِينَ !

تَوالَتِ الأَيامُ ، و كَان المُنتَجُ قَد أثبَتَ فَاعِلِيَتهُ لِيتهافَتَ أَهلُ القَريةِ مِن أَجلِ الحُصولِ عَليهِ ، وَ بِذلِكَ أصبحَت مَشغولَةً جِداً ، تَستيقِظُ قَبلَ الفَجرِ لِتَصِلَ أَعتابَ الغَابَةِ صَباحَاً ، وَ تَعودَ لِلمَحَّلِ بِثِقَلِ قِطَافِهَا.. وَ تُعِدَّ الدَواءَ وَ تَستَعِدَ لإستقبَالِ الزَبائِنْ ، كَان الأَرنبُ شَاهِدَاً عَلى الحَركَةِ .. و كَمْ نَالَ مِن مَرحٍ وَ جَزَر مِن أَيدِي الأَطفالِ الذينَ كَانوا يُرافِقُونَ وَالديهمُ .. حتَّى أَنهُمُ أَطلقُوا عَليهِ اسمَ " فَروَة الصَغيرْ " .

***

طَرقَ "رئم" عَلى البَابِ وَ دَخلَ .. سَألتهُ عَن حَالهِ وَ كَانَ يَبدو بِحَالٍ أَفضَل ، أَخبرهَا أنهُ تَوقَّفَ عَن الصَيدِ .. و سَيعمَلُ مُؤقتَاً فِي بَيعِ القمَاشِ ، وَ حيث إنَّ العَمل يَحتَاجُ لِجُهدٍ أقَلَ وَ لَو عَلى حِسابِ وضعهِ المَالِيْ ، وَ سَألهَا عَن صِحَةِ مَا سَمِعَ مِن خَبرٍ ، فَأخبرتهُ عَن نَجَاحِ الدَواءِ و أنَهَا سَعيدَة بِمَا آلَتْ إليهِ الأُمُور ، كَما و انْتَقَت زُجَاجَتينِ وَ أَعطتهَا لَهُ مُتمنيَّةً السَلامةَ لِصَديقَتِهَا ، بَينمَا كَان "رئم" يُلاعِبُ الأَرنَبَ السَمينَ سَألهَا عَن "ارام" ، هَلْ عَلِمَ بِأَمرِ التِريَاقْ ؟

تَوقَفت "ريم" عَن تَحريكِ كُوبِ الشَاي الذِي أَعدَّتهُ ، وَ نَظرَتْ نَحوهُ وَ قَالَت : لا أَعلم .. أَظُننَا لَنْ نَكُونَ عَلى وِفَاقْ ..

أطرقَ "رئم" بِرأسِهِ مُوافِقَاً ، وَ قَال : لَنْ يُوقِفهُ شَيءٌ عَن صَيدِ الغُزلانِ ..

ريم : أنتَ مُحِقْ ..

***

بَدأَ الشِتاءُ يَبتعِدُ بِسُرعَةٍ عَن القَريَةِ .. و الرَبيعُ يَزحَفُ بِبُطءٍ و هُو يَجُرُّ أَذيالَ العُشَبِ الأخضَرِ مَعهُ.. ، كَانت "ريمْ" تَتأخَرُ فِي الإغلاقِ عَلَّها تَلمَحُ "ارام" عَائِداً مِنَ الغَابَةِ ، حَيث إنَّهَا لمْ تَرهُ مُنذُ أسابيعَ طَويلَة ، و أحَياناً يَتبادَر لَها فِكرَة أَن تَتَوغَّلَ قَليلاً فِي الغابَةِ عَلَّها تَراهُ بِأمرِ مُصَادَفَةٍ.. ، بَدَت سَعيدةً بِنجَاحِ جُهودِهَا ، تَقضِي النَهارَ مُنشَغِلَة مَع الزَبائِنِ ، وَ يُبهِجُ قَلبهَا و يَمسَحُ عن كَاهليهَا التَعبِ ، مَا تَسمعهُ مِنهمُ مِن شُكرٍ و امتِنَانٍ ، و مَا إن يُغادِروا وَ يَعُمَّ الهُدوءُ .. تُكلِّمُ "فَروةَ السَمينْ" و تَسألهُ حَالَ مَن يَشغُل قَلبَهَا ..

فِي هَذه الأَثناءِ ، كَانَ "ارام" يُواجِهُ مُشكلاتٍ عَديَدةً ؛ بَينَ الصَيدِ المُتراكِمِ وَ الذِي انخفضَ الطَلَبُ عَليهِ فِي "لامارا" ، كَان

لا بُدَّ مِن التَوجُهِ للقُرَى المُجاوِرَة ، لِبيعَهِ بِأَسرعِ مَا يُمكِن و قَبل أَن يَتَخثَرَ دَّمُ الغُزلان ، انخفَضَ السِعرُ المَطلوب أَيضَاً ، .. لَيقضِي وَ مَجموعَتهُ النَهارَ بِالصَيدِ وَ الليلَ بِالسَفر ! مِمَا أرهَقهُ وَ جَعلَهُ عَصبِيَاً ، يَوَدُّ لَو يَفتعِلُ مَع أَيِّ أَحدٍ يُحَدِّثِهُ .. شِجارْ !

أَثناءَ تَجوّلِه رِفقَةَ صَيادِيهِ فِي أَسواقِ أَحدِ القُرَى المُجاوِرَة ، سَمِعَ بِأمرِ عِطارَةِ "ريم" وَ دَوائِهَا الذي وُصِفَ بِالسِحرِيِّ ! ، استَشَاطَ غَضَباً ، فَبِعلمِ التُجَارُ ذَلِكَ ، سَيزيدُ وَضعَ الصَّيد سُوءاً ! وَ هُوَ مَا لا يَحتمِلهُ ولا يُريدهُ .. ، احتَبسَ غَضَبَهُ فِي عُروقهِ وَ عَادَ إلى "لامَارا" ، حَيثُ العُمدَةَ بِانتظارِهِ لأَمرٍ كَمَا بَلَغَهُ عَن مَرسولهِ (سِريٌّ و عَاجِلْ) .

***

عَادَ "ارام" للقَريَةِ ، تَفرَّقَ جَمعهُ وَ سَارَ وَحدَهُ بِرأسٍ مَرفوعٍ وَ نَظرَةٍ حَادَّةٍ يَستصغِرُ بِهَا كُلَّ مَنْ يَمُر قُربَهُ ! .. وَصَلَ لِمحَلِ العِطارَةِ ، وَجدَ عَربَةً غَريبةً عَنْ "لامارا" تِقِفُ بِجانِبِ المَحلِ ، كانَت مُحملَّةً بِصَنادِيقَ مُقفَلَة بَأناقَةٍ ، وَقَفَ امَامَها

لِلحظَةٍ ثُمَّ اتجَهَ نَحو بَابِ المَحَلِ ، فَإذ بِه يُفتَحُ ، وَ يَخرُجَ مِنهُ احدَى تُجارِ القَريَة المُجاوِرَة ، هُوَ يَعرفهُ .. وَ كذلِكَ التَاجِر يَعرِفُ "ارام" ، لكنهُمَا لَمْ يَتبادَلا التَحيَّةَ ..! ؛ فَملامِحُ "ارام" لا تُبَشِرُ بِالخَير ، وَ هذا مَا قَرأتهُ "ريمْ" فَوراً ، بِتوَسُدِ "ارام" البَابِ وَ صَمتهِ ..

ريمْ : أينَ كُنتَ طَوالَ هَذا الوَقتْ ؟

"ارام" مُتجاوِزاً البَابْ : مَاذا يَفعَلُ التَاجِرُ هُنَا ..!؟

ريمْ : هَل أنتَ بِخَير ؟

أَخذَ "ارام" نَظرَةً سَريعةً خاطِفَةً على المَحَلِ ، وَ لَمْ يُجِبْ ..

ريمْ : مَا بِكَ لا تُجيبنِي ..؟

ارام : هَلْ عَقدِتِ صَفقَةً مَع التَاجر لِبيعِ الدَواءِ ..؟

شَعرتْ "ريمْ" بِالشَرَرِ يَتطايَرُ مِن بَينِ كَلماتِهِ ، ارتأتْ أَن تَكذِبَ عَليهِ أَفضلَ مِن أَن تَزيدَ مِن غَضبهِ ، فَقالتْ لَهُ : مُجَرَدُ بَيعٍ فَردِيٍّ ..

رَفعَ "ارام" حَاجبهِ باستِهزَاءٍ ، وَ قَالْ : بَيْعٌ فَردِي ..!

كَانَ الأَرنَبُ السَمين يَقتربُ مِن "ارام" ، وَ بِدوُنِ إدراكٍ مِنهُ ضَرَبَ بِهِ بِقَدمهِ لِيَرتَطِمَ بِالصَناديقِ وَ يَسقُطَ دُونُ حَرَاكٍ !

ذُهِلَتْ "ريم" وَ أَسرَعَتْ نَحوَ الأَرنَبِ ، حَاوَلت لَمسهُ بِاصبعِهَا .. لَمْ يَتحركْ ، فَأمسَكَتْ بِهِ .. لَمْ يَتحركْ أَيضاً ، فَصَرَخَتْ بِ"ارام" : لِمَاذَا فَعلتَ هَذا .. هَلْ أَنتَ طَبيعِيٌّ ! قَتلتَهُ ؟

"ارام" وَ قدْ استَعادَ ادراكَهُ بِفعلَتهِ : سَأجلِبُ لَكِ غَيره !

غَضِبَتْ "ريم" أكثَر ، و صَرخَت مُجدداً : ..لَقدْ تَجَاوزتَ حُدودَكَ! أُخرُجْ فَوراً.. !

غَضِبَ "ارام" وَ لَمْ يَستَطِع تَمالُكَ أَعصابِهِ ، وَدَّ لَو يُرديهَا هِي الأُخرَى مَقتولَةٌ .. شَدَّ عَلى قَبضَتيهِ وَ كَانَ للعُروقِ فِي جَبينَهُ انفِجَارٌ مُؤكَدٌ .. التَفتَ نَحوَ أَيَّ شَيءٍ غَيرَ وَجهِهَا ، وَجَد اللَّونَ يَدعُوهُ لِغَضَبٍ أَكثَرٍ ، دَمُ الغُزلانِ تَراءَى لَهُ بِالمَكَانِ .. فِي الصَناديق وَ عَلى الرُفوفِ وَ الطَاوِلَةِ .. فَأخَذَ بِعشوائِيةٍ يَضرِبُ

بَها وَ يُلقيهَا ..! ، تَحركَتْ "ريم" مِن الزَاويَّةِ التِي تَحجَّرَتْ بِهَا لِلَحظَةٍ وَ اندَفَعَتْ نَحوهُ كَيْ تَمنَعَهُ ، كَانَ يَدفَعُهَا عَنهُ بِقُوَّة كَي لا يَكسِرهَا هِي الأُخرَى .. أَخذَتْ تُحاوِلُ مرَّة أُخرَى وَ تَأكَدَ لهَا أَنهُ كَائِنٌ مُتَوحِشٌ حِينمَا دَفَعهَا لِتَسقُط عَلى الأَرضِ ، وَ كَانَ قَدْ انسَابَ اللُّونُ الأَحمرَ فِي كُلِّ المَكَانِ ؛ الأرضيَّةِ وَ الجُدرَانِ ، مَلابِسهُ وَ أَقدامَهُم .. يَديهِ أَيضاً وَ جَبينها..! ، اختلَطَ الرُمَانُ بِلَون الدَّمِ حَتَى أنهُمَا لَمْ يُلاحِظَا تَهشُّمَ الزُجَاجِ بِيديهِ و الجُرحِ الذِي أَصابَهَا..! ، دَخَلَ أَحدُّ المَارَةِ وَ خَلفَهُ بَعضُ الرِجالِ ، هَدَأَ "ارام" وَ حَاولَ أَن يَلتَقِطَ أَنفاسَهُ مِن بِينِ رَائِحَةِ المَوادِ التِي انسَكَبَتْ .. نَظَرَ لِكَفيهِ فَوَجدهُمَا تَرتَجِفَانْ ، وَجَدهُم يَنظرُونَ بِتعَجُبٍ و سَأَلَ أَحدهُمْ : مَاذَا يَحصُلْ ..! أَنتُمْ بِخَير ..؟

تَحَركَ "ارام" خَارجَاً بِسُرعَةٍ ، ضَرَبَ بِكَتِفِهِ الرَجُلَ وَ لَمْ يُجِبهُ ، عَلى سُؤالهِ ، بَلْ قَالَ لَهُ : تَأكدوا انَهَا لَمْ تُصَبْ بأذَى ! وَ غَادَرَ مُسرِعَاً ..

دَخَـلَ الرِجَـالُ وَ كَـانوا مِـن أَصـحَابِ المَحَـالِ القَريبَـةِ ، بَـدا المَكَانُ مُرعِباً ، لَولا رَائِحَةُ الرُمَانِ لَتبَادَر للذِهنِ جَريمَة.. ، كانَت "ريمْ" تَبكِي بِحُرقَةٍ ، لا تَدري عَلى مَاذا بِالضَبَطِ .. عَلى الأَرنَبِ ، أمْ قَلبِهَا الذِي انكَسَرَ كَما الزُجَاجَاتِ.. ، كَانَتْ الأَولويَةُ لِسَلامَتِهَا بَعدَ تَثبُتِ نُفُوقِ الأَرنَبِ الذِي أَخَذهُ أَحدهُمْ فِي صُندوقهِ ، تَبينَ إِصَابتهَا بِجُرحٍ فِي جَبهتِهَا ، أَمَا يَديَهَا فَقَدْ كَانَتَا سَليمَتَينِ ، .. بَينمَا تَعاوَنَ البَقيَّةُ فِي تَجميعِ الزُجاجِ وَ تَنظيفِ المَكانِ ، كَانَ كَثيرونَ قَد اجتَمَعوا حَولَ المَحَلِ ، مِنهُمْ مَن يَسألُ عَن مَكان وَالدها لِيعلمُوهُ بِمَا فَعَلَ "ارام" ، وَ منهم مَن يَتوَّعَدُ بِالتَبليغِ عن "ارام" لِلعُمدَةِ .. وَ منهُمُ مَن تَجمهَرَ لأَجلِ إشبَاعِ فُضوُلْ .

***

غَادَرَتْ "ريمْ" إلى المنزِلِ ، كِان وِالدُهَا لَمْ يَمُرَّ عَليهَا في ذاكَ اليَومِ ، لَمْ تَدرِي مَاذا تُخبِرُهُ وَ والِدَتُها ، فَهِيَ وَ "ارام" عَلى هذه الحالِ المُبهمَةِ مُنذُ الطُفولَةِ ، لَكِنَهُ زَادَ فِي أَذَاهُ مُؤَخراً .. لِيطَالَ قَلبَهَا مِراراً ، رُبمَا بَعدَ مَا حَدثَ لَنْ يَكونُ هُناكَ مَجَالٌ لِصُلحٍ كَما المُعتادِ ، وَ أَنَهُ مِنَ الأَسْلَمِ لَهَا أَن تُخبرهُمَا بِحَقيقَةِ مَا جَرى

.. فقَدْ يَعتَدِي عَليهَا مَرَّة أُخرى ، عَدا عَنْ أَنهُمَا قَد يَسمعَانِ بِما جَرَى مِن أَهلِ القَرَيَةْ ..

حَزِنَتْ والدَتهَا وَ تَفَقَّدَتْ الجُرحَ الذِي تَبَيَّنَ أَنهُ بَسيطٌ ، بَينمَا غَضِبَ وَالدهَا وَ اتخذَ قَرارَهُ بِالتَوجُهِ فَوراً لِتَقديمِ شَكوَى ضِدَّ "ارام" فِي اليَومِ التَالي.. ، وَ لا أَحدَ يَدرِي فِعليَاً أَن هُنَاكَ جُرحَاً عَميقَاً ، قَدْ يَترُكُ نُدبَةً وَاضِحَةً فِي قَلبِ "ريمْ" .

حَلَّ مُنتصَفُ اللَّيلِ ، لَمْ تَنَمْ "ريمْ" ، بَقِيَّ اللَّونُ يَقْتَصُّ مِنْ سَلامِهَا بِمنَامٍ عَلى غَيمَةٍ.. ، تُحاوِلُ أَن تَستعيدَ شَريطَ ذِكرَيَاتِهَا التِي تَرتَّبَ عَلى هَيئَةِ دَفْقٍ مُشاكِسٍ بَينَ هُبُوطٍ وَ صُعُودٍ مَع "ارام" ، .. عِندمَا دَفعَهَا لِتَسقُطَ مِن فَوقِ الجِسرِ إِلى النَهرِ بَينمَا كَانتْ خَائِفَة ! عِندمَا أَسرع لِسَحبِها حِينمَا غَرِقَت في ذَاتِ النَهر ! ، عِندمَا دَخلوا جَميعَاً لِحقَلِ القَمحِ الكَبيرِ وَ خَرجوا مِنهُ ، عَداهُ .. لِتبكيَهِ عَلى الأَطلالِ ! ، عِندمَا ضَربَ أَحدهُمُ لِمضايقتِهِ لَهَا وَ سَرقتهِ لِقُبعتهَا ذِي الشَريطَةِ الخَضراء.. ! ، عِندَمَا كَان

يُساعِدهَا بِتسلُّقِ الأَشجَارِ .. وَ حِينَ وُّبِخَ وَ عُوقِبَ بِالحَجزِ فِي الإسطَبلِ لِيَومٍ كَامِلٍ لأنهَا وَقعتْ وَ كَسرَت يَدهَا ! ، تَذكُر جَيداً كَيفَ كَانوا يَهربُونَ لأَعتَابِ الغَابَةِ وَ يتسَّلقوُنَ الحَاجِزِ مِن أجلِ التُوتِ البَريِّ الفَريدِ ! ، وَ أوَّلَ عُصفورٍ كَان ضَحيَّة قَنصِهِ لَهُ .. وكَم بِنطالاً تَم رَقعهُ عَشراتِ المَراتِ مِن فَرطِ حَركَته وَ شَغبهِ ، و عِندمَا كَانَت وَالدتُهَا تَصرخُ عَليه وَ تُحَّمِلُهُ مَسؤوليَةَ اتِسَاخ فَساتينهَا .. ، تَذَكَرَتْ دَبوس شَعرهِا التي أهدَتهُ إيّاهُ جَدتِها و كيفَ قَضى لَيلَة ماطِرَةٍ وهو يَبحَثُ عنهُ لأنها قالَت لَهُ ذاتَ مرِّةٍ أنهُ لا يُقدَّرُ بِثَمنٍ بالنِسبَةِ لَهَا ، تَذَكرت الوِشاح الأحمر الوَحيد والذِي بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ و بِرتوشٍ كَثيرَةٍ أتمَّتهُ كَي تُهديهِ إيَّاهُ بِذكرَى مِيلادهِ العاشِرْ ، ابتسَمت وهي تَستذكِرُ كُلَّ هَذا ، وَ نَزلتْ عَلى خَدِّهَا دَمعَةٌ بارِدَةٌ أحرَقت قَلبَهَا ..! ، و غَفتْ .

كانَت لَيلَة بَارِدَة بِحَقٍ ، قَضَاهَا "ارام" بِالتَجّولِ في الغَابَةِ ، ثُمَ جَلسَ عَلى جِذعِ شَجرَتِهِ المُفَضلةِ .. كَان يَنْظُرُ باتجَاهِ القَريةِ وَ كيفَ كَانت تَتقَلَّصُ أَنوارُهَا كُلمَا تَأخَرَ الوَقُت ، كانَت فِي عَينيهِ تَتراقَصُ بُحزنٍ دُونَ لَحنٍ.. بَينمَا تَوقَّفَ نَزفُ أَصابعِهِ مِن بُرودَةِ مَا طَالَ قَلْبُهُ ،و لكِنَ الألم كانَ حاضِراً في قَلبهِ ، .. لَمْ يَكُن فِي

بَالهِ مَا يُفكِّرُ فِيهِ ، بَدا رَأسَهُ مُجَوَفَاً مِنَ الأفكَارِ .. إلا مِنْ الحُزنِ ، كَانَ أَقربَ لِعُصفُورٍ وَحيدٍ ، لا رِيشَ يُدَّثِرهُ و لا عُصفورَة تَحنُو وَ تُدفئُهُ .. فَكيفَ لِلمَنطِقِ أن يُصَّوِبَ نَحَوهْ .

***

فِي صَبيحَةِ اليَومِ ، تَوجَه وَالدُ "ريم" إلى مَكتِبِ العُمدَةِ لِيَتَقَدَّمَ بِالشَكوَى .. و اتجَهَتْ هِيَ لِمحلِ العِطارَةِ دُونَ أنْ تَمُرَّ بِأَعتابِ الغَابَةِ ، أَلقَى أَصحاب المَحَالِ عَليها التَحيَّةَ ، وَ سَاعَدهَا أَحَدَهُمُ بِفَتح القِفلِ .. شَكَرَتهُ ، وَ اتجَهَتْ للدَاخِلِ .. كَان هُناكَ بَقَايَا لِمشهَدٍ تَركَ أَثارَهُ فِي المَكانِ ، تفَّقَدَت مَا سَلِمَ مِن جُنونِ "ارام " ثمَّ مَا يَتوَّفَرُ لَديهَا مِن المَوادِ .. بَدَتْ كَئيبَةً ، تَوَدُّ لَوْ تُكلِّمَ .. أيَّ كَائِنٍ حَيْ ! لا يُشبِهُ فَروَةَ السَمينْ!

بِهَـذهِ الأَثنـاءِ كَـان "ارام" نَاعِسـاً يَميـلُ نَحـوَ جِـذعِ شَـجرةٍ ، بعـدَمَا اطمأَنَ بِوجـودِ مَجموعَـةِ الصَيادينَ حَولَهُ ، فَلا غُـولَ قَدْ يَطـال نَومَـهُ وَ لا بُومَّـة قَـدْ تَنعَـقُ قُـربَ اذنَيـهِ أَو خَفاشَـاً يُعرقِـلُ اتزانَه مِن عَلى جِذعِ الشَجرةِ ، وَ أيضاً .. قَد هَدَأَ أَلم الجُروح فِي يَديهِ بَعدمَا نَظفهَا وَ ضَمَّدَهَا لَهُ أَحدُ الأَصدقَاءِ ، وَ بَعدمَا امتَنَعَ الجَميع عَن الكَلامِ بِمَا كَانَ خَوفَاً مِنهُ بَعدَ تَهديدهِ لَهُمْ ..

... وصَلت الشَكوى ليَدِ "رُوينْ" ، و هِي مُساعِدَةُ العُمدَةِ و ابنَتُهُ الجَميلَة ، صُعِقَت مِمَا قَرأتهُ فِي قَيدِ الدَعوَى المُقدمَةِ و أرادَتْ تمَزيـقَ الوَرقَـةِ ، فَهِـيَ بِحَـقِ "ارام" الـذي تُحِبُّـه ..! وكَـم تَمقُتُ "ريمْ" مُنذُ الصِغَرِ ؛ فرُغمَ أَنَهُ لا مَجَالَ لِمُقارَنةٍ بَيْنَهُمَا فِي الجَمـالِ ، إلا أنَّ "ارام" لا يكُّـفُ عَـنْ مُطـاردَةِ "ريـمْ" .. و هِـي الأخبَـرُ بِـأَنَّ تِلـكَ النَظـرة مِنـهُ لَيسَـتْ إلا إعجَابَـاً لِـذاتِ الشَـعر المُجَعَّدِ التي لا تُتقِنُ الخِياطَة و لا الفَّنْ !، و فِعلاً قَامَتْ باتخَاذِ قَرارٍ بإحراقِهَا ، ولَم يَتبَّقَ مِنهَا إلا رَمادٍ فِي قَاعِ الكَأسْ .. ، أبدَتْ ابتسـامَةَ انتصِـارٍ و ثِقَـةٍ ، فَبِهَـذا حَـرّرتْ "ارام" مـن حُكـمٍ و

مُحاكَمَـةٍ ، كَمَـا وَ بِرأيَهـا أن "ريـمْ" تَسْـتحِقُ مَـا جَـرى لهَـا فَقَـدْ تَعدَّتْ حُدودَ الصَيادِينَ وَ أرضِهِمْ .

في مَساءِ اليَوم ، طَرقَ "ارام" بَابَ عُمدَةِ القَريَةِ فَقدْ كَان قَد طَلبَـهُ بِـأمرٍ رَسـمِيْ ، اعتـذَرَ عَـن التَـأخُرِ .. ، جَلـسَ فِي مَكتبـهِ و رَاحَت نَظراتُهُ تَطالُ رُفوفَ الكُتبِ ، دَخلَتْ بِهذهِ الأَثناءِ "رُوينْ" .. بِفُستانٍ مُخمَلِيٍّ أخضَر ، بَينمَا انسَدلَ شَعرُهاَ الأَحمَر الطَويل خَلفهَا .. لَمْ يَستطِع ألا يُشيحَ النَظرَ عَنهَا ، فَقَدْ بَدتْ أَميرَة كَما هوَ مَعروفٌ عَنها ، تَقدَّمَتْ نَحوَه وَ رَحبَّتْ بهِ بِأناقةٍ وَ أخبرَتهُ أَن والدها لَيسَ هُنا لإنشغالَهِ بِأمرٍ مُهمْ ، فَنَهضَ "ارام" مِنْ مَكانهِ لِيستأذِنَهَا الخُروجَ ، فَوَقَفتْ أَمامَـهُ لِتَصُّـدَ الطَريـقَ، وأمرتـهُ أن يَجلِسْ !

جَلسَـتْ "رُويـن" على كُرسِـي وَالـدهَا ، وَ قالَـتْ : وَالـدُ "ريـم" تَقدَّمَ بِشكوَى وَ طَلَبَ مُحاكَمَةً ضِدَّكْ ..

"ارام" و هوَ يُحاوِلُ تَجاهُلَ النَظرِ نَحوهَا : حَسنَاً ، هَذهِ مُشْكِلةٌ ..لكِنْ كَانَ العُمدَةُ طَلبَنِي قَبلَ ذَلِكْ ، فمَا الأَمرْ !

رُوينْ : أنا أَتكلَمُ مَعكَ عَن تِلكَ التي لا تَكُّفُ عَن افتعَالِ المُشكلاتِ لَكْ !

ارام : ومَاذا فِي ذَلكْ .. فَليكُنْ هُنَاكَ مُحاكمَة .

تَجَعَّدَت جَبينُ "رُوينْ" وَ اتجَهَتْ بِخطواتٍ بَطيئَةٍ نحوَ "ارام" ، بَينمَا كَان يَتفادَى نَظراتِهَا ، أَصبَحَتْ أَمَامَهُ ، رَفَعَتْ بِيدهِا رَأسَهُ وَ هَمسَتْ قُربَ اذنِهِ : لَقَدْ أَعلَنْتُ بَراءَتكْ .

ارام : مَاذَا تَقصِدينْ ..؟

كَرّرتْ "رُوينْ" بِصوتٍ أَعلى قَليلاً : أَعلنتُ بَراءَتكَ .. هَذا حُكمِي العَادِل بِك يا عَزيزِيْ ..

ارام بارتِبَاكٍ : لِمَاذَا ..؟

"رُوينْ" و هِيَ تَضربَهُ عَلى قَلبهِ وَ تَنظُرُ فِي عَينيهِ : اسأَلْ قَلبِكْ عَنِي .. سَتعرِفُ الجَوابْ !

تَحـرَّكَ "ارام" بِسُـرعَةٍ ، شَـعَرَ أَن صَـدَرهُ يُؤلِمَـهُ فَجـأة ، قَـالَ بِتَلعثُمْ : عَليَّ الذَهابُ .. سَأعودُ لاحِقَاً ! لأرَى العُمْدَة ..

ابتَسَمتْ "رُوينْ" ، وَ رَاحَتْ تُمشِّطُ شَعرها بِأصابِعِ يَديهَا .. ، أَمَا "ارام" فَقَدْ خَرجَ بِخُطواتٍ لا يَملِكُ القُدرَة عَلى السَيطَرةِ عَليها ، استَندَ عَلى أحَدِ جُدرانِ البُيُوتِ التِي صَادَفَتْ مَسيرَهُ ، التَقَطَ أَنفاسَهُ .. ، حَاولَ أَن يُعيدَ تَدويرَ المشهدَ ، فَلَمْ يَعلَم إن كَان قَدْ شَكرَ "رُوين" عَلى مُساعدَتِهِا لَهُ أمْ لا .. أَخفَى وَجهَهُ بيدهِ عَلَّهُ يَجِدُ إجابَة لِتَردُّدهِ ، فَتَنبَّهَ أَنَّ قَلبَهُ يَخفِقُ بِشِدَّة .

***

مُنهَكَـةٌ بالـذهَابِ فَجـراً إلى أَعتـابِ الغَابَـةِ لالتِقَـاطِ زَهـرِ الخُشْـخَاشِ ، وَ مَشـغولَةٌ جِداً طَوالَ النَهارِ ، بَينَ فَرطِ حُبوبِ الرُّمانِ وَ تَجفيفِ قُشورهِ .. استقبَالُ الزَائِرِينَ وَ سَكبِ مُنتَجِهَا

فِي الزُجاجَاتِ الصَغيرَةِ ، تَنظيفِ المَكانِ وَ رَيِّ النَبَاتَاتِ ، كَانت تَنقضِي نَهاراتُ "ريمْ " بِهذهِ الرَتابَةِ ، سَعيدةً بانشِغَالهَا الذِي يَمنَعُهُا مِن التَفكيرِ بـ "ارام" ، و بِوصولِ مُنتَجِهَا لِلقُرَى المُجاوِرَةِ وَ تَعاقدِهَا مَع العَديدِ مِنْ النُجَارِ ، دَفعتهَا هَذهِ الدَوامَة مِنْ كِتابَةِ إعلانٍ عَلى بَابِ مَحَلِ العِطارَةِ بِحاجَتهَا إلى تَوظيفِ مُساعِدْ .

فِي هَذهِ الأَثناء ، كَان العُمدَةُ مُتعجِباً مِن عَدَمِ استجابَةِ "ارام" ، فَطَلبَ وَراءَهُ مَرَّة أُخرى بِمَرسومٍ عاجِلٍ ، لِيُلَبِي مِن فَورهِ .. فَقدْ كَانَ "ارام" يَتناسَى أَمرَ العُمدَةِ وَ ابنتهِ بَعدَ مَا حصَلَ .. مُتعمِدَّاً كَي لا يَلتقِي بِ "روينْ" مُجَدَّداً .

بَدا العُمدَةُ غَاضِباً مِن "ارام" ، أَخبَرهُ أَنَهُ يَعتمِدُ عَليهِ جِداً ، و يُوليهِ اهتِمَامَاً استثنائِياً .. ثُمَ أخذَ يَمدَحُهُ وَ بَدت ملامِحُ الغَضَبِ تَتلاشَى عن وَجهِهِ و انفَردَ حاجِبَاهُ ، وَ بدأَ يَتحدثُ فِي أمرِ "رُوينْ" .

العُمدةُ : أنَا قَلِقٌ على "رُوينْ" ، وَ عَلى القَريَةِ وَ أهلهَا ..

ارام : ما الذي يُقْلِقكَ .. هَلْ مِن مُشكِلَة ؟

العُمدة : مُشكلاتٌ كَثيرةٌ لَوْ تَعلَمْ يَا بُني ، تثقِلُ كاهِلِيْ..

ارام : خَيراً ! و هل يُمكِنُني المُساعَدة .!

تَركَ العُمدَة كُرسِيَّ مَكتبه .. وَ جَلسَ بِجانِبِهِ ، وَضَعَ يَديّهِ فَوقَ بَعضِهَما ، نظَرَ لـ "ارام" وَ قَال : الحَلُّ وَاحِدٌ لَوْ تَعْلَم .

ارام : لَستُ افهَمُكَ أَيُها العُمْدَةُ ! مَا الحَّلْ ؟ وَ أيُّ مُشكلة ..

العُمدة : استَمِعْ لِي جَيداً يَا "ارام" ، القَريَةُ تَحتَاجُ لِعَميدٍ بَعدي .. أَئتمِنُ عَليهِ القَريةَ ؛ أَهْلُهَا وَ خيراتِها وَ مُستقبلَهَا ، و "رُوينْ" أَصبَحتْ عَروسَة تَزدادُ جَمالاً يَومَاً بَعدَ يومْ .

رَاحت عَينا "ارام" تَدورُ بانِدَهاشٍ ، يُريدُ عَقلَهُ أن يَستوعِبَ كُلَّ هذا الكَلام دُفعَةً واحِدَةً ..

العُمدة : .. أريدُكَ يَا بُني أَنْ تَتَزوجَ ابْنَتي الغاليَّةِ "رويْنْ" ، أَنتَ أَنسَبُ شُبَّانِ القَريَةِ و المؤهَّلُ الوَحيدُ برأيِّي ، كَمَا أَنَّ "رُوين" لا تُريدُ غَيرَك ، هَذا مَا بَدا لِي جَليَّاً مِن رَفضِهَا لِلكَثيرينْ .

"ارام" بصَدمَة : حَقاً ! لَكِنْ أَنا صَياد ، لا أَفهَمُ بِشأنِ إِدارةِ أُمور القَريَةِ ...

العُمدة : لا تُقَلِلْ مِن قُدراتِكَ ، يَكفيكَ أَنَكَّ عَميدُ الصَّيادين في المَنطِقَةِ ، لِتحافِظَ عَلى مَوروثِ القَريةِ و اسمِهَا بَين القُرى و تكونَ مِداد أمانِها .. و أيضَاً بِوُجُودِ "رُوينْ" لَنْ تُواجِهَ مُشكلات كعُمْدَة !

حرَّكَ "ارام" رَأسَهُ وَ كأنهُ يَنْفضُ عَن أمَامَ عَينيهِ ضَبَابَاً تَزاحَمَ فَوقَ أَفكارهِ ، وَ قَالْ : صِدقَاً ! وَ لَكِنْ أَنا مِنْ عَائِلةٍ ..

وضَعَ العُمْدَةُ يَده عَلى كَتِفِ "ارام" وَ قَال لَهُ : دُونَ لَكِنْ .. أَعتبِرُكَ مُوافِقْ .

ابتلَعَ "ارام" المَوقِف ، وَ قَالَ لِلعُمدةِ : نَعَمْ .. لَكِنْ أمهِلنِي فَترة لأرتِّبَ بَعضَ الأُمورِ .

توجَّه "ارام" نحوَ الغابَةِ ، بدت الدَهشَةُ فِي عينيهِ حاضِرَةً ، و كأنَّهُ مُغيَّبٌ عَن وَعِيٍّ وُجودِ مَجموعَةِ الصَّيادينِ حَولَهُ .. كَانوا

يَتَجادَلُونَ حَولَ الصَّيدِ ، وَ حَوْلَ المُنْتَجِ الطَبيعِيَّ الذي جَعَلَ صَيدَهم لا حَاجَةَ لَهُ ، تراجُعِ المَبيعاتِ وَ سُوءِ الوَضعِ العَامِ لِلحَركَةِ التِجاريَةِ .. ، بَدأَتْ أَصواتَهُمْ تَدخُلُ أذُنَي "ارام" ، فَقالَ لهُم : بَقِيَتْ هَذهِ المُشْكِلَة!

لَمْ يَفهمهُ أَحدٌ ، وَ تَأكَد لَهم انشغَالِ عَقلهِ بِأمرٍ مَا .. ، فَسألهُ أَحدهُم : عَلينَا اتخَاذِ اجراءٍ وَ إلا سَنْفقِدُ رِزقَنا !

وَقفَ "ارام " ، نَفَضَ مَلابِسَهُ ، حَمَلَ قَوسَهُ وَ سِهامَهُ وَ قَالْ : سَأجِدُ حَلاً .. أعِدُكُمْ بِذلِكَ ، سَنْستعيدُ السُوقَ ، لَنْ أُكَرِرَ كَلامِيْ هَذا !

***

أوَّلُ الرَّبيعِ عَلى الأبوابِ ، هَذا يَعني مِهْرَجَانُ القَريَةِ ، انشَغَلَ أَهل القَريَةِ فِي تَزيينِ الطُرقاتِ بالوَردِ وَ طِلاءِ الجُدرانِ

بألوانٍ فَاهيَةٍ ، زَخرفَةِ الأبوَابِ بِالشَرائِطَ .. رَائِحَةُ الكَعكِ كَانَتْ تَخرجُ مِن النَوافِذِ لِتطغَى عَلى المَكانِ وَ تَسكُنَ الصُدوُر ، وَ أَكوابُ شَراب شايٍّ الوَردِ تَستعِدُ لتُسكَبْ .. وَ أَجمَلُ مَا فِي هَذا العِيدِ كَانتْ بَهجَةُ الأَطفالِ ، أَلعابِهم وَ حَلواهُم .. مَلابِسَهم الجَديدةِ و أُمنياتهُمْ .

مِثلُ كُل وَقتٍ مِن هَذهِ السَنةِ ، لا بُدَّ أنْ يَلتقِي الجَميع لِيُجَدِّدوا عَهدهَمُ بِالبقَاءِ مَعَاً بِقَسَمٍ قَد اقتَسَمُوهُ ذَاتَ لُعبَةِ "دُورْ يَا صَحْن السُكَّرْ" ، لكِنْ مِهْرجَانُ هَذهِ السَنَةِ بَدا استثنائِيَاً ، فَقدْ تَوَّجَ "رئم" وَعْدَهُ لـ "مِيرال" ، وَ تَكَلَلَّ ذَلِكَ بِزواجِهمَا .. أَمَا "ريمْ" فَقَدَ بَدَتْ وَحيدة بِتجاهُلهَا لِـ "ارام" ، بَينمَا كَان لا بُدَّ لـ "ارام" أَن يُرافِقَ "رُوينْ" بِأَمرٍ مِنْ العُمْدَة !

التقَى "رئم" وَ زوجتِه بِـ "ريم" فِي سُوقِ المِهرجَانِ ، و جَلسوا يَتناوَلونَ الحَلويَاتِ وَ يَتكلمونَ وَ يَضحَكون ، كَانوا يَتجَاهَلونَ ذِكرَ اسمِ "ارام" أَوْ السُؤَالَ عَنهُ أو ذِكرَ أَخبارِهِ ،

فَلِأولَويـةِ المَـرحِ حَاجَـةٌ قُصْـوَى .. أَرادَت "ميـرال" أن تَشـتـرِي دَبـوسَ شَـعرٍ ، فَرافقتهَـا "ريـم" نَحـوَ البَـائِعِ .. وَ إِذْ بِهَـا تُصَـادِفُ "ارام" يَسيرُ بِجانِبِ الأَميرةِ "روينْ" !

تَغيـرَّتْ مَلامِـحُ "ريـمْ" فَجـأةً ، سَـقَطَتْ مِنهَـا ابتسَـامتهَا ، و أَصـبحتْ حَركتهَـا بَـارِدَة ! فَقَـدْ رَمَقهَـا "ارام" بِنَظـرَةٍ لا مُباليَـةٍ ، شَعرَتْ بِذلِكَ أَنهَا تَحمِلُ صِفةً لا مَرئيَّة ، كَيفَ لَهُ أنْ يَتجاهَلهَا بِهَذا الشَكلِ ! .. بَقِيَتْ تنظُرُ لَهُم وَكأَنَّ عَينَيها تَسيرُ رِفقتهمَا حتَـى اختَفَيَـا بَـينَ الجُمُـوعِ .. أَمسَـكَتْ "ميـرال" بِيـدهَا كَـي لا تَسـحبهَا تِلـكَ النَظـرةُ مَعهَـا ، أَرادَتْ اسـتِعَادَتها ، فَسَـألتَهَا : مَـا رَأيُكِ بِهَذا الدَّبُوسِ ، هلْ هُوَ جَميلْ ؟

استعادَتْ "ريمْ" رُشدَهَا ، وَ أجابَت "ميرال" : نَعَمْ .. جَميلْ .

"مِيرالْ" لِلبائِع : إذَنْ سَنأخذُ اثنَيْنِ لَو سَمحَتْ ..

انتَهَى المِهرجَانُ بِفعَالِيَاتِهِ الجَميلةِ ، اختَارَتْ "ريم" المُرورَ بِمَحلِ العِطارَةِ خَاصتهَا قَبلَ العَوْدَةِ لِلبيتِ لِضَرورَةٍ تَجهَلهَا ، و إذ بـ "ارام" يَستنِدُ عَلى الجِدارِ الجَانِبي ! ، تَوقَفَتْ لِلَحظَةٍ ، اعتقَدَتْ أَنهُ لَمْ يَلمَحهَا فَأَخذَتْ خُطوةً بِإتجَاهٍ مُعاكِسٍ لَهُ ، فَالهَربُ أَسلَمُ مِن الخَوضِ مَعهُ فِي حَديثٍ تَأخرَ جِداً لِيَكونَ حَدثَاً ! .. ، صَرخَ "ارام" : تَوَقَفِيْ !

ريمْ : مَاذا تُريدْ ؟

كَانَ يَحمِلُ "ارام" وَرقَةً بَينَ يَديهِ ، كَانَتْ لِلإعلانِ عَن حَاجتهَا لِتوظيفِ مُساعِدٍ ، وَ كَانَتْ قَد تَجَعَّدَت بَين يَديهِ حِين كَدَّسَها لِتُصبِح كُرة .. ، وَ رَمَاهَا أَمَامَهَا .

ريمْ : لِمَاذا فَعلتَ ذَلكْ..؟

ارام : لأنَّ المُساعِدَ مَوجودْ .

ريمْ : لا أَرغبُ بِتَوظيفِكَ .. كَمَا أَنكَ عَلى مَا يَبدو حَصلتَ عَلى وَظيفةٍ جَديدَةٍ ..!

اقتربَ "ارام" بِهدوُءْ ، رَفعَ حَاجِبَهُ وَ سَألهَا : تَقصدينَ "رُوينْ" ؟

ريمْ : لا شَأنَ لِي بِكْ ..

ارام : لَكِنْ أَنتِ كُلُّ الشَأنْ !

ريمْ : رَجاءَاً يَا "ارام" تَوقَّفْ عَن هَذا الكَلام ، كَما أَنكَ لَمْ تَعتذِر بَعدْ ؟

"ارام" وَقَدْ وَضعَ يَديهِ خَلفَ رَأسهِ بِغُرورٍ : صَحيح .. وَ مَاذا إنْ لَمْ أعتذِر ؟

"ريمْ" وَ هِي تَتراجعُ لِلخَلفِ قَليلاً لِتُمَهِّدَ لإنسِحَابْ : بِكُلِ حَالٍ اعتذارُكَ مَرفوض ..

ارام : أنَا أسِفْ يَا "ريمْ" ، هل هذا ما تُريدين سَماعَهُ ..؟

لَمْ تَلتفِتْ "ريم" نَحوَهُ وَ اتمَّتْ انسحآبَهَا ، بِخُطواتٍ وَاثِقَة .. رُغمَ أَن عَصافيرَ قَلبَهَا كَانت تَرتجِفُ فِي حُجراتِهِا ، فَكيفَ تَقبَلُ باعتِذَارِهِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ وَالدهَا بِشَكوَى لِلعُمدَةِ ضِدَّهُ ! بَلْ كَيفَ تَعفو عَنهُ بَعدَ قَتلِه لـ"فروَة الجَميلْ" ! وَ كيفَ تَغفُو دُونَ أَن يَتَبَادَرَ لِحُلِمِهَا شَرَّهُ ..!

فِي صَبيحةِ اليَومِ التَالي ، خَرجَتْ "ريمْ" فَجراً مُتوجِهَةً نحوَ اعتَابِ الغَابَةِ ، كَان "ارام" يُلاحِقَها .. كَانَتْ تَعلَمُ بِأمرِ تَتبُّعِهِ ، لَكِنهَا أَصرَّتْ عَلى تَجاهُلهِ حَيث إنَّ الجِدالَ بَينهُما لَنْ يُنالَ إلا بِقَسوَةٍ ! ، أَخذَت تَقتلِعُ زَهر الخُشخاشِ وَ تضَعهُ فِي سَلَّةِ القَّشِ الكَبيرةِ ، كَانتْ تَبذِلُ مَجهوداً مُضاعَفاً لِتَتَجاوزَ التَفكيرَ بـ "ارام" وَ أَنهُ يُراقَبها ، قَفزَ "ارام" و تَسَلَّقَ شَجرةً مُقابِلَها لِيُثبِتَ وُجودهُ ، وَ قالَ لهَا وَ هُوَ جَالسٌ فَوقَ الشَجَرَةِ : هَل أَجلبُ لَكِ أَرنباً آخَرْ ؟

هُنا استَفَزَّ "ريم" لِتَنظُرَ إِليهِ بِغَضَبٍ وَ يَديهَا مُتسَختينِ بِالتُرابْ ، ردَّتْ عَليهِ بِغَضَبٍ : لا .

ارام : مَا رَأيُكِ بِثَعلَبٍ مُنقَطْ ؟

ريمْ : لا أُريدْ .

ارام : فِيلٌ رِمادِيٌّ صَغيرٌ ؟

ريمْ : لا أُريدُ شَيء مِنكْ .

ارام : مَاذا عَن قِطَّةٍ بعَينينِ زَرقاوَتينْ ؟

ريمْ : هَلا تَوَّقَفْتَ عَن ازعاجي ، أريدُ أن أعمَلْ .

قَفزَ " ارام" مِن عَن الشَجَرَةِ ، تَقدَّمَ نَحوهَا وَ هُوَ يَضعُ يَديهِ خَلفَ ظَهرهِ ، اقتربَ مِنهَا وَ قالَ لهَا : هَذهِ هَديتُكِ مِن المِهْرَجَان .. أتمنَّى أن تُعجِبِكْ ..

"ريمْ" وَ هِيَ تَنظُرُ لِلمرأةِ المُزيَنَةِ بِزخَارِفَ وَردٍ وَ مِشطٍ بِأَسنانٍ عَاجيّةٍ .. : لا أَستطيعُ قَبولها ..

ارام : أَلا زِلتِ تَحتفظِينَ بِأَولِ هَديةٍ أَحضرتُهَا لَكِ ..؟

"ريم" وَ قَدْ حَادَتْ بِنَظرِهَا عَنهُ وَ عَن هَديتهِ : لَقَدْ كُسِرَت !

ارام : حَقاً ! كَسرتِ قَلبِي بِهذَا الخَبرْ ..

عَادَت لِتُرتِبَ الأَزهارَ فِي السَّلَةِ وَ تَنفُضَ عَن جُذورهَا التُرابَ العَالِقَ بِهَا ..

ارامْ : .. اختَرتُ هَذهِ الهديَّة لكِ .. ، شَعرتُ بِأَنَّ مِرآتكِ كُسِرَت .. لا أَعلمُ كَيفَ أَصيغُ ذلِكِ ، مُجَّردُ حَدْثٍ رُبما ..

ريمْ : اشتريتُ بِنَفسِي وَاحدةً آخرى ، لا تَشغِل بَالَكْ ..!

ارامْ : اكسِريهَا ..!؟

حَمَلتْ "ريمْ" سَلَّتهَا ، كَانَتْ قَد التَقطَتْ الكَثيرَ دُونَ أَن تَنتبِهَ ، بَدَتْ ثَقيلَة .. فَأَخذهَا مِنهَا وَ حَملهَا بَدلاً عَنهَا ، بَينمَا أَعطاهَا الهَديَّةَ بِيَديهَا ، أَطلَقَ ضِحكَةً كَبيرةً وَ هُوَ يَقولْ : شُكراً لِقُبولِكِ هَديتِي .

لمْ تَنتبِهِ "ريم" لِذلِكَ ، رَمقتهُ بِنَظرَةٍ حَادَّة تَستطيعُ أَن تَقْسِمَهُ لِنصفينِ لِوْ أَرادَتْ ! ، ثُمَّ لَحِقَتْ بهِ ..

ارام : اتعلمينَ .. لَقَدْ وَضعتُ كَميناً كَيْ أُوقِعَ بِالدُّبِ ذِي العَينِ الوَاحِدَة ..

ريمْ : ظَننتُكَ كبُرتَ عَن انتِقَامِكَ الصَبيَانِيْ ..

ارامْ : أَبدَاً ! أَلَمْ يَكُن سَبباً بِالنُدبَةِ فِي قَدمِكِ ؟ سَوفَ أَقطَعُ رَأسهُ وَ أُقَدِّمَهُ إليكِ..

"ريمْ" بِتَملمُل : تَوقَّفْ عَن هَذا الكَلامْ ..

ارام : سأُحضِرُ لَكِ هَذهِ النَبتَة يَومياً وَ أتركهَا عَلى بَابِكْ ، لا دَاعِي أَنْ تَأتي إِلى هُنَا ..

ريمْ : لا دَاعِي لِذلِكَ ..

ارام : مَاذا لَوْ أتَى إِليكِ الدُّبُ وَ أَكلكِ ..

ريمْ : أَنا لا أَتجاوَزُ أَعتابَ الغَابَةِ وَ الحَدَّ المَسْمُوح !

"ارام" مُشيراً لنفسهِ : أتكلم عنِي .. مَاذا لَوْ أَكَلني؟

ريمْ : بِاللهِ عَليك ! وِجهَةُ نظرٍ غيرِ مَسبوقَةٍ ، خوفِي مِنكَ لا عَليهِ .. فأنتَ الدُّبْ .

تَـركَ "ارام" السَـلّةَ وَ انسَـحبَ عَـن بَـابِ المَحَـلِ ، بَـدأتْ "ريـمْ" بالعَملِ بِجِدٍّ ، كَانَتْ حَرَكَتُهَا انسيابيَّةً ، أَقربَ لِرقصَةِ فَراشَةٍ ..، ثُـمَّ أَعـدَّتْ كُوبَاً مِـن شَـايٍّ الـوَردِ وَ جَلسَـتْ تُنظرُ نَفسَـهَا بِمـرآةِ "ارامْ" ، شَعَرَتْ أَنَها استعادَتْ شَيئَاً كَانَ مَفقودَاً .. لا تَعلمُ مَا

هُوَ فَليسَ شُعورَاً مَلموسَاً ، .. قَلَّبَتْ المِرآة لِتضَعَهَا عَلى الرَّفِ فتَفَاجَأتْ بِكلمَةٍ مَحفورَةٍ عَليهَا "آسِف" ..

***

مَرَّ الأسبوعٌ بِإنسيابِيَة ، "ريم" تَعملُ بِجِّدٍ لِتوفيرِ كَمياتٍ مَطلوبَةٍ لِتصديرهَا خَارِجَ "لامَارا" ، وَ "ارام" يَتركُ سَلَّة زَهرِ الخُشخَاشِ عَلى بَاب العِطارَةِ كُلَّ فَجرٍ كَما وَعَدَهَا ، ثُمَّ يَعودُ إلى الغَابةِ مِن أَجلِ الصَيدِ ،.. حَتى تَنبّهَ أَحدُ الصَّيادينِ لِتصرفَاتِ عَميدِهِمْ ، وَ بَدأَ بِتتبُّعِهِ ! لِتَعلمَ المَجموعَةُ بِهذا الشَأنِ وَ يَبدوُ عَليهِم الانزِعَاجْ ..فَكيفَ لَهُ أَن يُساعِدَ "ريمْ " وَ هِي المُتَسَّبِبْة بِتراجُعِ أُمورهِم كُلّها فِي الصَّيدِ وَ الرزقِ وَ السُمْعَة !

لا أحدَ يَدري مَا الذي يَدورُ بِرأسِ "ارام" ، فَلا يُمكِنُ تَفسيره و لا استِبَاقِ تَصرفاتهِ ، غَالبَاً هُو زِئبَقِيُّ المَزاجِ ، وَ لكِنْ المَرحلةِ

تَدعوُ لِوُضوحٍ ، خَاصَّةً بِتَردِدهِ كَثيراً لِبيتِ العُمْدَة ! ، هُنَا كَانَ لا بُدَّ مِنْ وَضعِ نُقطَةٍ عَلى السَطرِ وَ تَصعيدِ الأَمرِ بِسُؤَالْ ..

أَحدُ الصَيادِين إلى "ارام" : مَا الذِي تَنويه ؟ هَل تَتلاعَبُ بِنَا !

ارام : أبدَاً .. وَعْدُتكُم أَن أجِدَ حَلاً ..

نَظرَ الصَيادون فِي وُجوُهِ بَعضَهم ، فَعَلِمَ أَنَهُمْ مُتَفِقُونَ عَلى عَدمِ الثِقَةِ بِه ، وَ طَلبَ مِنْهُمُ أَن يُمْهِلُوهُ وَقتَاً لِيُثبِتَ لَهُمْ ذَلِك .. و انسَحَبَ حَامِلاً رِمَاحَهُ عِبرَ الأَشجَارِ ، وَ اختَفَى .

تَوجَهَ "ارام" إلىَ القَريَةِ ، بَدَتْ أَفكارَهُ مُشَّوشَةً أَمامَهُ .. فَهوَ يَجِدُ نَفسَهُ مُحَاصَراً وَحدهُ مِن كُلِّ الجَبَهَاتِ ، وَ يُرِيدُ سَبيلاً يُؤدي بِه لِلإيفَاءِ بِوُعُدهِ لِلصَيادِين وَ استعادَةِ ثِقَتِهِم ، وَ أَيضَاً السَير عَلى خُطى ثَابِتَة لِتحقيقِ شَرطِ استِلَامِهِ مِفتَاحِ عُمدةِ القَريَةِ ، إنَهُ ضَغطٌ كَبيرٌ لا يَسَعَهُ الخُروجُ مِنهُ دُونَ تَضحِيَّةٍ .

وَجَـدَ نَفسَـهُ أَمَـامَ العِطـارَة ، اسـتَأذَنَ بِالـدُخولِ ، تَعجَّبَـتْ "ريـمْ" مِنْ وُجُودِهِ بِهذا الوَقتْ ، استَقبَلتهُ بِابتِسَـامَةٍ فَهِيَ تَوَدُّ شُكرَه عَلى مُسَاعَدَتِها ..

ارام : أَرى أنَّ الإعلان مَا زَال قَائِماً ؟

ريمْ : صِدقَاً أَحتاجُ مُساعِداً ؛ فَالطَلَباتُ بازدِيَادْ ..

اتجَـه "ارام" نَحـوَ الإعـلانِ المُعَلَّـقِ عَلى البَـابِ ، سَـحَبهُ .. كَوَّمَـهُ عَلى بَعضهِ عَلى شَكلِ كُرّةٍ وَ رَمَاهَا نَحوهَا !

التَقَطتَهَا بانزِعَـاجٍ وَ قَالـتْ لَـهُ : هَـذهِ المَـرة الثَانيـةِ ! تَوَقَّـفْ عَـن العَبَثْ ..

قَاطَعهَا "ارام" وَ أَخذَ يُشمِّرُ عَن ساعِدَيهِ وَ سَألهَا : مِنْ أَينَ أَبدأ؟

فَتحتْ "ريمْ" عَينيهَا عَلى اتساعِهِمَا ، قَالتْ وَ الدَهشَةُ أَكبَر مِنْ أنْ تُخبئِهَا : مَاذَا ؟

ارام : مَاذَا !؟ عَيَّنتُ نَفسِي مُساعِدَاً ، مَاذا أَفعلُ بِهَذهِ الأَزهَارْ ؟

"ريمْ" وَ هِيَ تَتفقَّدُ بِحَرَكةٍ لا إِرادِيَةٍ قَرْنَهَا المَكْسُورَ : حَسَنَاً ..

بِهَـذا نَصَّـبَ "ارام" لِنفسِـهِ رُكنَـاً فِي العِطـارَة ، وَ أَخـذَ يَسـألُ الكَثير مِنْ الأُمورِ المُغيَّبَةِ عَنهُ ، تَعلَّمَ الطَريقَةَ الأَسهَلَ لِتقشيرِ الرُمَّـانِ وَ فَـرطِ حُبوبِـهِ ، وَ أَجـادَ تَجفِيـفَ قُشـورِهِ تَحـتَ أَشِـعَةِ الشَمسِ ، كَمَا وَ تَعَامَلَ بِحّذَرٍ مَعْ بَتلاتِ زَهرِ الخُشخاشِ بِقدرِ مَا أكدَّتْ لَـهُ "ريـمْ" أَنها ثَمينَـةٌ جِـدَاً .. عَلى هَذهِ الحَالِ تَوالَـتْ الأَيَـامُ ، وَ تَوجَّهَـتْ أَعـيُنُ الصَّـيادِينِ وَ أَصـابِعُ اتهـامِهِم نَحـوَهْ ، لِيراقِبُوهُ وَ يَترقبوَا تَنفيذَه لِمَا يُرضِي انتظارَهُم وَ وَعدهْ.

كـانَ "ارام" يَـذهبُ كُلَمَـا تَسـمَحُ لَـهُ الفُرصَـة لِزيـارَةِ العُمـدَةِ ، الذي بِدورِهِ لِمْ يَسْتَعجِلهُ وَ آمنَ بِهِ وَ بِخُطواتِهِ وَ لَمْ يَسألهُ عَن شَيءْ .. وَ إنمَا كَانَ يُطلبُ مِنهُ أَنْ يُولِي اهتمامَاً أَكبَر بِـ"روينْ" .. التِي تَبذُلُ جُهْدَهَا بِالمُقابِل لِتنَالَ قَلبَه .

صَباحٌ رَبيعِيٌّ جَميلٌ ، مَالَ بِشمسهِ نَحوَ "الامَارا" ، زَيَّنَ أَسقُفَ البُيوتِ بِحُنَوٍ ، تَركَ لَمسَةَ دِفءٍ وَ بَدأ يَنسابُ نَحوَ الغَابَةِ لِيَنحَسِرَ وَراءَ الشَمسِ بِبُطءٍ .. كَانَ "ارام" يَعمَلُ بِجدٍ لِيَنقُلَ الكَثيرِ مِنْ صَنادِيقِ الرُمانِ إلى داخل العِطارَةِ ، وَ يَبدأ بالعَمِل عَليها .. ، وَ كَانَتْ "ريمْ" تَستفيدُ مِن انشغَالِهِ بِتنفيذِ مُعادلَتِهَا لِتركيبِ المُكَوِّنِ ، وَجَدتْ أَنهُ يَتَوجَبُ عَليهَا الأَخذ بِحَذرٍ مِن تَسَّرُبِ الأمرِ إلى الخارجِ ، لَيسَ احتِكَارَاً .. فَقَد كَانَت تَبيعهُ بسِعر زَهيدٍ ، وَ بَلْ تُوزَّعُ مِنُهُ الكَثير بِالمجَانِ لمَنْ يَحتاجونَهُ مِن أهلِ القَريَةِ وَ إلى مَنْ يَأتيهِ طَالبَاً إيَّاهُ مِن أَهل القُرى ..

لاحَظَ "ارام" سِرَيّتَهَا فِي التَعامُلِ مَع الأَمر ، حَيث إنَّ تَصرفاتِهَا مَكشوفَةٌ لَهُ وَ وَاضِحَةٌ .. وَ كَأنَّ مَا تُخفيهِ يُكتَبُ عَلى جَبينهَا .. لِذَا ، لَمْ يَسألهَا ، وَ سَعَى إلى كَسبِ ثِقَتِهَا ، فَبيومٍ مَا سَتُأَمِّنُ لَهُ وَ تُخبِرَهُ وَحدَهَا ، لِذَا كَانَ يَعمَلُ باجتِهَادٍ ، حَتَّى أنَهُ قَد أَتَّمَ بِناءَ مُستودَعٍ صَغيرٍ خَلفَ العِطارَةِ مِنْ أَجلِ الإحتِفَاظِ بالصَنَاديقِ وَ المَوادِ ..

كُلَّما اقتَربَ الظُهرُ كَانَتْ "ريـمْ" تَسـأَلُهُ اسـتِرَاحَةً ، لَـمْ تَخـلُ السَـاعات مِـن المَـرحِ عَلى هَـامشِ اسـتِعَادَةِ مَـا انكَسـرَ ذاتَ قَبضَـةٍ ، فَقَـدْ كَانَـتْ أَكـوابُ الشَّـايِ وَ فَنـاجِينُ القَهـوةِ وَ حَبّـاتِ السُـكَرِ حَاضِـرَةً لتُقـاطِعَ العَمَـلَ الجَـادْ .. وَ أَحيانَـاً لا بَـأسَ بِكـلامٍ يُسَطِّرُ لِلنَهارِ حَادِثاً أَوْ حَديثَاً .

صَرخَ "ارام" يُنادِيهَا وَ هُوَ عَائِدٌ مِنْ السُوقِ حَيث طَلبَتْ مِنهُ بَعضَ حَاجيات : أَين أَنتِ يَا "ريم" لَقَدْ أَحضَرتُ رَأسَ الدُّبَ!

خَرجَـتْ "ريـمْ" مُسـرعة وَ هِـيَ تَحمِـلُ بِيَـدهَا أَقمـاعَ عَصـرِهَا للرُمانْ : مَاذا ؟ لَنْ أُصدِقِكْ .

ارام : انظُرِي فِي الصُنْدُوقْ !

تَوجَّهت "ريـمْ" نَحـوَ الصُـندوقِ ، نَظـرَتْ إِليـهِ بِدِّقَـةٍ .. لَـمْ يَكُـن هُناكَ أَيّ حَرَكَةٍ دَاخِلَهُ ، اطمأَنَتْ وَ فَتحتهُ .. فإذْ بِقِطَّةٍ جَميلةٍ بِلونِ البَلوطْ .

ارام : جَميلَة ؟

"ريمْ" و هي تَحمِلهَا بَينَ يَديها : جِدَاً .. مَا أَجْمَلَهَا .

ارام : أُريـدُ أَن أُخبـركِ .. بِـأنني لَـنْ أَجلِـبَ لَـكِ رَأسَ الـدُّبِ ذِي العَينِ الوَاحِدَةِ .

ريم : لِمَاذَا ؟ هَلْ أَنتَ بِخَيرْ !

ارام : لَنْ أُعاوِدَ الصَيد ..

نَهضَتْ "ريم" وَ هِيَ تَحمِلُ القِطَّة بَينَ يَديهَا ، وَ اقتَربَتْ مِنهُ وَ كَأَنَ سَمعهَا خَانَهَا ، نَظرَتْ لَهُ ، أَرادَتْ أَن تَسألَهُ ، لَكنهَا تَراجَعت أَدراجَ إِجابَـةٍ مُتَـرَدِّدَةٍ .. فَأبقَـتْ السُـؤالَ حَبـيسَ قَلبِهـا ، وَ لكِـنَّ صَداهُ بنَـى فِي رَأسِـهَا عِـدَّة إجاباتٍ .. كَانَتْ تُقَلِّبُهَا وَ هِـي تَعمَـلُ عَلى تَرتيـبِ بَتلاتِ زَهـر الخُشـخاشِ ، تُحدِّثُها نَفسُـها ـ" هَـل يَـا تُراهُ سَيبقَى يَعملُ فِي العِطارة ؟ ظَننتُ أنَّ الوَضعَ مُؤقت ! مَاذا

لَو تَركَ الصَّيدَ حَقاً ؟ لِمَ قَدْ يَترك الصَّيد وَ هُوَ أَفضل الصَيادينْ ؟ هَل هُناكَ خَطبٌ مَا ! مَا الذي يَنويهِ ؟ رُبمَا لَيسَ جَادَّاً .. ".

***

أَبدى وَالدُ "ريم" اطمئنَانَهُ وَ رِضَاهُ بِمَا يَخصُ "ارام" ، وَ كَان يُفَّكِرُ بِجديَّةٍ كَيفَ يُمكنهُ سَحبَ الشَكوَى التِي قَدَمهَا ضِدَّه فِي مَكتبِ العُمدة، لَمْ يَكُن باليَّدِ حِيلّةٌ بِمَا حَصَل ، وَ هُوَ لَيسَ يَدري وَسيلَة يُبَرِرُ بِهَا مَوقِفَهُ إِن التَقَى بِـ"ارام" مُصادَفةً حين يُرافِقُ ابنتِه ، فقَدْ كَان يَتَجَنَّبهُ لِحينِ مَوعِد المُحَاكَمَة عَلَّهُ يَتخِذُ عَفواً رَسمياً .. كَما أنَّ وَالدتَهَا بَدَتْ سَعيدةً ، تَستمِعُ لِحديثِهَا عَن "ارام" بِإهتِمَامٍ ، فَقَدْ لَمسَت شَغفاً استثنائياً فِي عَينيَّ ابنتِهَا حِينمَا يَتعلقُ الأمر بِهِ ، مَع ذلِكَ أَبقَت عَلى عَينيهَا مَفتوحَةً لتُكَرِّرَ عَلى مَسمعِهَا ضَرورةَ أَن تَتوخَّى الحّذَر مِنهُ خَاصَّةً بَعدَ جُنُونهِ الذي أَبداهُ .

بَدتْ "ريمْ" عَلى الخِفَّة ، أَشبَهَ بِفراشَةٍ تَكبرُ جَنَاحَاهَا ، حتَّى أَنهَا بَدَتْ تَقِفُ أَمامَ المِرآةِ تَنظُرُ فِي وَجهِهَا لِوقتٍ أَطول مِن المُعتَادِ ، أَصبَحَتْ فَساتينِهَا أَقربُ لِلرَبيعِ بَالألوانِ ، أَمَا زِينَتُها فقَدْ استعَادَتْ بَرِيقَهَا .. ، وَ "ارام" أيضاً ، أَصبَحَ قَلبَهُ جَميلاً بِمنظُرِهَا ، حَتى تِلكَ الإبتسامَة الفَريدَة مِن نَوعِهَا وَ التي تَعلو وَجهَهُ كُلمَّا كَانَ مَعها أَصبَحتْ تُغضِبُ الصَّيادينَ الذينَ يُراقِبونَهم بِصَمتْ .

أرادَت "ريمْ" أنْ تَشكُرَه عَلى القِطَّة التي مَا إن تعرَّفت عَلى المَكانِ و آلِفَتْهُ حَتى لَبثَتْ تَركضُ في الأَرجاءِ وَ تُطارِدُها أَينمَا اتجَهتْ .. ، لِذَا أعدَّت كَعكَة مِن الفَواكَه المُجَفَفةِ التِي تَمتازُ بِمذاقِهَا الآخَّاذِ ، وَ قَدَّمتهَا لَهُ ، مَع سُؤالٍ كَان لا بُدَّ مِنهُ لِيُقدَّمَ عَلى طَبقٍ مِنْ تَرَدُّدٍ .

ريمْ : هَلْ حَقاً لَنْ تُعاوِدَ الصَّيد .. لا أَراكَ تَذهَبُ لِتصطَادْ ؟

"ارام" و هوَ يأكُلُّ مِن قِطعِ الكَعكَة : ألمْ أخبركِ .. تَوقَفتُ عَن الصَيدِ ، لأَجلكِ .

ريمْ : مَا الذِي تَعنيِه ؟

ارام : لَنْ أَقبَلَ بِوجودِ مُساعِدٍ يَعمَلُ مَعكِ ..

"ريم" و هِيَ تَضرِبُ عَلى ظَهرِهِ : لا تَتَكلَّمُ وَ أَنتَ تَأكُلْ .

ارام : لا تَسألي السؤالَ مَرتينْ .

"ريمْ" وَ قَدْ ذَهبتْ لِتحضِرَ كُوبَ مَاءْ : لَمْ اسألكَ غَيرَ مرَّة .

ارام : ألا يُسعدُكِ أَنني هُنَا مَعَكِ ؟

ريمْ بِخَجَل : تَفضَلْ بعضَ الماءْ .. ، بَلى يُسعدُنِي .

ارام : إذَن تُشارِكيننني مَحَلِ العِطارةِ وَ أُشارِكُكِ عُمريْ .

"ريمْ" وَ قَدْ جَلسَتْ بِجَانبهِ : مَا الذي تَعنيهِ ..

وَقفَ "أرام" وَ تَقدَّمَ أَمامَهَا ، ضَربهَا باصَبعِهِ عَلى جَبينهَا بِقوَّة و قَالْ : تَدَّعينَ الغَبَاءِ أَمْ أَنتِ غَبِيَّة ؟

تـوَّجمَ وَجه "ريـم" مِـن ضَـربتِهِ فَقَـدْ آلمَهَـا ، وَ قَالـت لَـهُ : لِمـاذا فَعلتَ ذَلِكَ !؟

ابتعدَ عَنهَا وَ رَاح يَنشغِلُ بِترتيبِ صَناديقٍ كَانَتْ عَلى الأرضِيَةِ ، وَ قالَ لَها : حَتى تَعودِي لِرُشدِكْ ..

***

أنهَـى والـد "ريـمْ" عَملَـهُ فِي السُـوقِ ، وَ اتجَـهَ لِمكتـبِ عُمـدَةِ "لامـارا" ، طَلـبَ العُمـدَة وَ قَـدْ قَابَلـهُ ، وَ مِـن حُسـنِ حَظـهِ أنَّ العُمْدَةِ كَانَ مُتفرغَاً وَ مَوجودَاً ذَلكَ اليَوم ، طَلبَ منـهُ سَحبَ الشَـكَوى التِـي قَـدَّمَهَا بِحَـقِ "ارام" ، تَعَجَّـبَ العُمـدَةُ مَوضِـع شَكَوى لَمْ تَصِل لديهِ وَ لا عَلِمَ لَهُ بِهَا ، وَ كَانَ مُوقِنَاً أَن لـ"رُوين" يَـداً فِي الأَمْـرِ ، وَ لكِنَـهُ لَـمْ يُبْـدِ عَـدم مَعرفتِـهِ بِالقَضـيَّةِ .. فَأخـذَ

يُسايِرُ الوَضعَ ، سَألَهُ عَن السَبَبِ ، فَأخبرهُ أَنهُ لا بَأسَ بِحَلٍّ وِدِيٍّ وَ أَنَّ "ارام" أَبْـدَى اسَـفَهُ وَ حُسـنَ نيَّتَـهُ وَ لا يَرغـبُ هُـوَ الآخـر بِتَصعِيدِ المَوقِـفِ ، وَ بِمَا أَن أَطرافَ القَضيَّةِ عَلى وِفَـاقٍ وَ قَـد اصطَلحَا .. هُنَا تَوقَّفَ العُمدَة وَ اتجهَ لِنَافذتهِ وَ سَألَ وَالدَ "ريمْ" : مَا رَأيُكَ بِالشَابْ "ارام" ؟

وَالدُ "ريمْ " : إِنَهُ شَابٌ مُجتهِدٌ وَسُمعتهُ طَيبة ، لَديهِ عَصبيّة غَير مُبرَّرَة ! أَعنِي شَهمٌ وَ حَامِلُ سَهمْ .

ابتسَمَ العُمْدَةُ وَ قَالَ وَ هُوَ يَهُزُّ بِرأسهِ مُوافِقَاً :.. حَسناً ، اعتَبِر الشَكوَى لَمْ تُقَدَّم يَا "إيرما" فَأنتَ صَديقٌ قَديمْ ، وَ بِالتَوفيقِ لابْنَتِكْ .

تَوجَّه وَالدُ "رِيمْ" نَحوَ العِطارَة ، لَيُخبِرهَا بِمَا كَان ، وَ لِيُبَادِرَ بِالتَحيَّة لِـ"ارام" ، وَ هَذا مَا كَانَ .. كَمَا وَ أَمرهُ بِمُرافقَةِ ابنتِهِ بَعدَ الإِغْـلاقِ ، وَ أَبْـدَى "ارام" وَقفَـةَ ثِقَـةٍ وَ قَبـوُلْ ، لِيَـزولَ مِـن فَـوَرِهِ شُـعورُ الإِسـتياءِ وَ مُخَطـطْ الهُـروب الـذِي اعْتَمـدَهُ كِلاهُمَـا .. وَ تَعودَ الأمورُ إِلى مَا كَانَتْ عَليهِ .. عَلى مَا يُرامْ .

فِي تِلكَ الأثنَاءَ ، كَانَتْ مَجموعَةُ الصَّيادينِ تَنتظِرُ بِفَارغِ الصَبرِ عَودَة قَائِدهِمُ ، لَكِنْ مَا بَدا لَهُم .. غَيرَ مَا وَعَدَهم بِهِ ، فَقَد كَانوا يَتَرَّصدونَهُ ، وَ كَم يُزعجِهُم تَصديق أَن "ارام" مُغرَمٌ بِحبِهِ القَديمِ بِالوَقتِ الذي تَتَجسَّدُ لَهُمْ "ريمْ" بِصورَة الشِريرةِ التِي قَطعَت بِرزقِهم ! ، وَ أنَّ أُمورَهُمَا تَتَّخِذُ مَنْحَىً غَيرَ الذِي يُريدونَهُ وَ يَصُبُّ بِمصَلحَتِهِمْ ..

التَقَى "ارام" بِأَحدِ صَيَادِي مَجموعَتهِ فِي الغَابَة ذَاتَ فَجرٍ، كَانَ "ارام" مُنشغِلاً بِاقتِلاعِ زُهورِ الخُشخاشِ وَ وَضعِهَا فِي حَقيبةِ ظَهرٍ كَبيرةٍ مِنَ القَشِ ، سَألهُ عَنْ نَتيجَةٍ لِمَ يَفعَلُ .. فَطلَبَ مِنْهُ "ارام" أنْ يَتريَثَ بَعد قَليلاً ، وَ أَنهُ يَعمَلُ عَلى خُطَةٍ مَحكَمة .، لكِنْ الكَلِمَات التِي أَبداهَا "ارام" كَانَتْ تَناقِضُ الجُهْد الذِي يَبذلهُ فِي جَمْعِ الأَزهَارِ ، لِذَا لَمْ يُصَّدِقهُ الصَّيَاد ،

خاصَّةً بَعدمَا استَأذَنَهُ ليُسْرعَ نَحوَ العِطارَةِ ، هُنَا كَانَ لا بُدَّ مِنْ أَفكارهِ أَنْ تَحيدَ نحوَ لونٍ رَمادِيْ .

أَدرَكَ "ارام" أَن عَليهِ الإسراعَ مِنْ وَتيرَةِ خُطَتهِ وَ خُطوَتهِ .. ، و بَدا عَليهِ بِوضوُحٍ أَنهُ شَارِدُ الذِهْنِ ، لِتَتنبه لِذلِكَ "ريمْ" وَ تَسألهُ فَترةَ استراحَةٍ مُقتطعَةٍ مَا بَينَ الشَوطينِ ، كَانَتْ القِطَّةُ تَهربُ مِنهُ كُلَّمَا حَاولَ الإمْسَاكَ بِهَا ، وَ تَختبِئُ وَراءَ "ريمْ" ، كَانَ هَذا يُبهِجُ قَلبَهَا جِداً .. خَاصَّة حِينمَا تُنادِيهَا بإسمِهَا "مِيَا" وَ تُسرِعُ القِطَّة نَحوَهَا .. وَ عِندمَا تُلاعَبِهَا بِسُنبلةِ قَمْحٍ .. ، أَرادَ "ارام" الخُروجَ مِن تَفكيرهِ فَأخذَ يُحَاوِلُ اللَّعِبَ مَع "مِيَا" ، أَمسكَ بِزَهرةِ خُشخاشٍ وَ رَاحَ يُلَوِّحُ بِها ، لِتُسرع "مِيَا" نَحوَهُ ، وَ تَسْرِقها مِنهُ وَ تَبدأَ بِالتِهَامَهَا ..

جَلسَا يَشرِبَان كُوبينِ مِنْ شَاي الفَاوانْيَا ، سَألهَا "ارام" عَن مَا يُمكنهُ مُساعدتُهَا بِه فِي تَركيبِ الوَصفَةِ ، كَانَتْ "ريمْ" تَتَفادَى الاجَابَةَ مَا أَمكَنهَا .. حَتَى وَجَدَتْ نَفسَهَا مُحَاصَرَة

بِسؤالٍ صُوِّبَ كَالسَهمِ نَحوَها "ما هِي مُكَوِّنَاتِ العَقارِ الذي تَصنعينْ ؟" ، تنَّبَهَتْ "ريمْ" أَنْ "مِيَا" لَيسَتْ عَلى مَا يُرام فأسرَعَتْ إِليهَا لِتجدهَا قَد أكلَتْ بُذورَ الزَهرةِ دُونَ أنْ تَتنبّه لَهَا .. أخذَتهَا بَينَ يَديهَا وَ بَدأت تُمَسِّدُ عَلى ظَهرِهَا ، سَألتْهُ مَن أتَى إليهَا بِالخُشخاشِ وَ لَمْ يَنفِ ، فَأبدَتْ استياءَهَا وَ قَالَتْ لَهُ "فلْتَحذَر إنَّ بِهَا مَادَّةً مُخَدِّرَةً !" .. ، هِي لَمْ تُدرِك أَنهَا هَربَتْ مِن الاجابَة إِثرَ مَا طَرأَ بِشَكلٍ عَفويٍّ ، لَكِنْ "ارام" مُقتَنِعٌ تَمَامَاً أَنها تَتَحدَاهُ بِالصَمتْ ..

***

أخذَ "ارام" يَسيرُ نَحوَ الغَابَةِ لِيُحَصِّلَ زَهراً أكبَرَ وَ أَكثَرَ لِغايَةٍ فِي نَفسِهِ ، اجتَازَ الحَدَّ المَسْمُوح رُغمَ أَنَهُ دُونَ سِلاحِهِ ، فَلا شَيءَ يُخيفُ عَميدَ الصَّيادينْ ، كَانَ يَسيرُ وَ أَفكارَهُ مُغيَّبَةٌ عَن وَطئِ أَثارِ أَقدامِهِ ، بَينمَا الأَشجَارُ تَأخذُ بالإرتفَاعِ أَعلَى ، وَ جُذورُهَا تَضْرِبُ الأرضَ بِصَلابَةٍ وَ تفَّرُعٍ .. حَيوانَاتُ الغَابَة بَدَتْ

أَمامَـهُ تَمشِـي بِغُـرورٍ ، هَـذا مَـا رَاودَهُ مِـنْ شُـعورٍ مَـعْ حَنينـهِ للإِمْسَاكِ بِقَبضَةِ قَوسِه ، .. حَتَى وَقَعَ فِي فَخْ !

كَانَ فَخَاً مُعَدَاً بِإِتقَانٍ لِتخفِيهُ أَوراقُ الشَجَرِ الجَافَّةِ ، الغَايَةُ مِنه كَانَتْ اصطيادِ الدُّبِ ذو العَينِ الوَاحِدَةِ ! ، لَكِنَّ "ارام" وَقعَ بِهِ و أُصيب.. أَسرعَ الصَّيادون نَحوَ المَكان ، لِيُفاجأو بِصُورَةٍ صَادِمَةٍ ، فَقائِدُهُمْ بِحَالٍ لا يُرثَى لَهَا أَمامَهُمُ ، بِجروُحٍ قَاتِلَةٍ وَ قَرنٍ مَكْسُورْ !

غَابَ "ارام" عَن الوَعِي لأَيام ، وَ كَان حَديثَ القَريَةِ وَ خَبرهَا ، كَانَ العُمْدَةُ قَدْ استقَبَلَهُ بِكَرمٍ ، وَأَحضَرَ لَهُ أَفضَل أَطباء "لامارا" ، بَينمَا "رُوين" أَخذَتْ تَلعَبُ دَورَ المُمرضَّةِ ، لِتُغَّيرَ جُروحِهِ وَ تُعْطِيَهُ الدَّواءَ .. حَتى استيقَظَ عَلى وَقعِ صَوتٍ عَالٍ دَخَلَ رَأسَهُ لِيَدورَ مَع الدُوار ، فَقَدْ بَدا لَهُ أَن صَوتَ "ريمْ" عَالٍ

جِدَاً وَ أَنهَا تُناديهِ ! بَينمَا هُنَاكَ صَوتٌ يَمنَعُهَا .. لَمْ يُدرِكَ أَنه صَوتُ "روينْ" ، حَتى دَخَلَتْ الغُرفَة تَحمِلُ حَاجِياتْ !

رُوينْ : اسْتَيقظْتَ .. حَمْدَاً لِلَّهِ .

"ارام" بِعينـينِ بِالكـادِ مَفتـوحَتينِ وَ بِصَـوتٍ بَطـيءْ : سَـمعتُ صَوت "ريمْ" !

ردَّتْ "رُويـنْ" بِغَـيظ: لا أَحَـدَ غَيـري هُنَـا .. سَـأذهَبُ لأُنَـادِي الطَبيبْ.

استَعَادَ "ارام" شَريطَ الأَحداثِ أَمامَهُ بِسُرعَةٍ خَاطِفَةٍ لِيفَهَمَ سَببَ وُجُودِهِ هُنَا ، تَحَسَّسَ مَوضِعَ أَلَمِهِ .. وَ تَنبَّه لإِنكِسارِ قَرنِه .. وَ أَطلقَ صَرخَة أَرعبَتْ كُلَّ مِن فِي مَنْزِلِ العُمْدَة !

***

مَرَّ يَومانِ ، كَانَت "رُوين" تَقضِي نَهارَهَا قُرْبَ "ارام" الذِي بَقِيَ صَامِتَاً مُعظَمَ الوَقْتِ ، وَ اقتصَرَ كلامَهُ عَلى شُكْرِ "رُوين" لاعتِنَائِهَا بِهِ .. كَانَ مَصدومَاً بِكونهِ كَانَ فَريسَةً سَهلَةً لِيقَعَ فِي الفَخِ وَ هُوَ عَميدُ الصَّيَادين ، وَ كيفَ لِمَجموعَتهِ أَن تُعِدَّ فَخَاً للدُّبِ بِغَيرِ أَمرِهِ وَ عِلمِهِ أَو مَشورَتِهِ ؟ فَمِنَ المَسموحِ لَهُمْ اصطيَاد الغُزلانِ وَ الأَرانِبِ وَ الطُيورِ فَقَطْ ! ، .. وَ يَعودُ بِهِ الشُرود إلى أوَّلِ السَطرِ لِيتفقَّدَ قَرنَهُ المَكسورْ ! ، اسْتَمَرَ الأَمرُ هَكَذا حَتى زَارَهُ أَحدُ أَفرادِ مَجموعَتِهِ بإسمِهِمْ جَميعَاً .. ، حَملَ اعتذارَهُ وَ رِفاقَهُ إليهِ ، لَمْ يَقبَلهُ "ارام" وَ لا حَتَّى الهَدايَا التِي أرسلوهَا مَعهُ ! وَ تَوَجَّهَ إِليهِ بِسؤالٍ عَنْ سَبَبِ وُجودِ فَخِ الدُّبِ دُون عِلْمِهِ؟

فأَجابْ : انَهُم كَمجموعَة اتخذُوا القَرارَ بِإنْجازِه .

لِتَقطَعَ إِجَابَةَ الشَّكِ بِاليَقينِ ، بِأَنَهمُ مَا عَادوا يَعتبرونَهُ عَميدَهُمْ ، تجَعّدَتْ جَبهَةَ "ارام" وَ أَخذَ يُلقِي بِغَضبهِ مُخَاطِبَاً : مَاذَا لَوْ وَقعَ أَحد أَهْلِ القَريةِ بِالفَخ وَ مَاتْ! مَن سَيتحمَلُ المَسؤولِيَة ؟ تَقولُ لِي اتخذْتَم القَرار بالإجْمَاعِ ؟ بَل قُلْ لِي اتخذْتُمْ أحدَاً مِنْكُم

قَائِداً ! .. انصَرِفْ الآن ! وَ أخبرِهُمْ أَنَنِي لا أَزال عَلى وَعدِي وَ أَنَنِي لَنْ اتخِذَ أَي إِجراء بِحَقِهِمْ حَتى أَعُودْ !

شَهِدَتْ "رُوين" عَلى غَضَبهِ ، وَ كَانَ يُزعِجُهَا مِنهُ تَجاهُلُهُ لَهَا ، حَيثُ إنها تُريدُ أَن يُبادَلهَا الكَلامَ أَقلَّهَا .. فَكيفَ الاهتمَامْ ! ، لَكنَّهَا لَمْ تَكُفُّ عَنْ التَقَربِ مِنهُ كُلمَّا سَمَحَتْ لَهَا الفُرصَةُ ، إلا أَنْ "ارام" بَدا مُغيَّبَاً عَن لَمسَةِ يدِهَا ، وَخِفَةِ خُطوَتِهَا ، الزُخرُفَةُ الجَميلةُ على ثَوبِهَا .. شَعَرهَا المُنهمِرِ كَالشَلالِ خَلفَ ظَهرهَا .. أَو النَمشِ الذِي يَتباهَى فَوقَ وَجْنَتَيْهَا !

جَلسَتْ "رُوين" مُقابِلَ "ارام" عَلى السَريرِ ، نَظَرَتْ إِليهِ وَ قالَت : مَا رَأيُكَ أَنْ تَبقَى هُنَا حَتَى بَعدَ التِئَامِ جُروحِكَ ..

رَدَّ "ارام" وَ هُوَ يُشيحِ بِنَظَرهِ عَنهَا وَ كَأَنَهُ يَبحَثُ عَن اجابَةٍ فِي المَكانِ : أُريدُ الخُروجَ بِأَقربِ وَقتْ .

رُوينْ : لِتَعودَ لِلغَابَةِ أَمْ لِلعِطَارَةِ ؟

نَظرَ "ارام" نَحوَهَا وَ قَالَ بِحَزمْ : هَذا لَيسَ مِن شَأنكِ !

اتجَهَتْ "رُوين" نَحوَ النَافِذَة وَ أَخذتْ تَنظُرَ للخَارِج ، وَ تَقول : بَلْ لِي الشَأنُ كُلّه يَا حَبيبِي ، إِنْ كُنتَ سَتُغَادِرُ فَورَ شِفَائِكَ .. قَد أطعَنُكَ مُجَدَداً كَيْ لا تَذْهَبْ إِلى صَاحِبَة القَرنِ .. ، ...

ارام : مَاذَا ؟ أَكمِلِي .. صَاحِبَةِ القَرنِ المَكْسُورِ !؟

ارتَبَكَتْ "رُوين" ، وَ كَانَ عَليهَا أَن تُصَّحِحَ مِنْ فَورِهَا ، لَكنَّهَا لَمْ تُسيطِر عَلى مَوقِفهَا ، فصَرَخَتْ بِهِ : تَباً لهَا ! فَلْتَعلَمْ أَنني لَن أسّلِمَكَ لَهَا مَهْمَا حَدثْ !

استوعَبَ "ارام" المَوقِفَ ، وَ أنّهُ دَخلَ ضِمْنَ مُثَلَّثِ حُبٍ جَارِح ، كَان لا بُدَّ أَن يَقولَ شَيئاً .. لَمْ يقُلْ ، لأَنه لَمْ يَجِدْ مَا يُهَوِّنُ عَلى "رُوين" فَزَعَهَا .. فَأشَارَ لَهَا أَنْ تَقترِبَ مِنْهُ .

***

استَعَادَ "ارام" قُوَّتَهُ رُغمَ أَنَّ جُروحَهُ لَمْ تُشْفَ ، بِالكَادِ كَان يَستَطيعُ السَيرِ ، شَكرَ العُمْدَةَ عَلى حُسنِ ضِيافَتِهِ لَهُ ، و اسْتعجَلهُ العُمْدَةُ بِتَرتيبِ مَا يَلزَم لِإشهارِ فَرَحِ ابْنَتِهِ ، طَلَبَ "ارام" مِنْ العُمْدَةِ أَن يُمهِلَهُ المَزيدَ مِنَ الوَقْتِ مُؤكدَاً لَهُ أَنَهُ سَيَكونُ عِندَ حُسْنِ ظَنهِ ..

خَرَجَ "ارام" يَتَوكَأُ عَصَاً حَيثُ إنّ قَدمَهُ لا تَزالُ مَكسورَةً ، كَان يَستوقِفَهُ أَهلُ "لامَارا" مُهنئِينَ لَهُ عَلى سَلامَتِهِ وَ مُتَمنينَ لَهُ التَوفيقِ .. حَتَى وَصَلَ العِطَارَة ، لِيَخرُجَ أَصحَابُ المَحَالِ المُجَاوَرَةِ وَ يَسألونَهُ ضِيافَة ، لَكِنَهُ يَعتذِرُ لَهُم مُتجِهَاً لـ"ريمْ" التي كَانَت تقِفُ عَلى البَابِ وَ الدُموع في عَينيها ..

ارام : أَهَذا اسْتِقبَالُكِ لِي ؟

ردَّتْ "ريمْ" وَ هِيَ تَهُز بِرأسِهَا نَفيَاً ، وَ أَفسَحَتْ لَهُ لِيَدخُل .. .

طَردَ "ارام" القِطَّةَ التِي اتَخَذَتْ مِنْ كُرسِيِّهِ مَكانَاً لِقَيلوُلَتهَا ، جَلسَ ، أَخذَ تَنْهِيَدَةً وَ قَالْ : لِمَاذَا لَمْ تَأتِي لِزِيَارَتِيْ ؟

ريمْ : أَنَا ! كُنتُ آتِي وَ لَكِنْ "رُوينْ" كَانَتْ تَمْنَعُنِي مِنْ رُؤيتِكَ ..

ارام : حَقَاً ! لَمْ أَكُنْ أَعْلَمْ .

جَلسَتْ "ريمْ" عَلى كُرسِيَّهَا بِجَانبهِ ، تَشَابَكَتْ أَصابِعُهَا مَعاً ، لَمْ تَعلَمْ مِن أَينَ تَبدأ الحَديثْ .. كَمَا أَنْ "ارام" يَبدوُ لَهَا هُجومِيَاً ..

"ارام" وَ هُو يتلَّفِتُ فِي المَكانِ : مَا بَالُكِ ؟ هَلْ اتخذْتِ أَحَدَاً يُسَاعِدُكْ ؟

"ريمْ" وَ التَوَّتر يَبدُو عَليهَا وَ هِي تَنظُرُ لَهُ : لا ، أَنَا أَسفة جِدَاً .. لَقدْ حَصَلَ هَذا بِسَبَبِي .

"ارام" و هُوَ يُديرُ بِالعَصَا عَلى الأَرضِ : لا عَليكِ ..مَا حَصَلَ قَدْ حَصَلْ .

خَبَّأتْ "ريمْ" عَينيهَا وَ رَاحَتْ تَبكِي وَ هِيَ تَكتُمُ صَوْتُهَا ..

ارام : تَوَقَفِي عَن البُكاء .. هَذا لَنْ يُعيدَ قَرنيَ المَكْسُورْ !

لَمْ يُوقفهَا كَلامَهُ بَلْ زَادَهَا بُكَاءْ .. لِتَبكِي بِصَوتْ .

اقتَـربَ "ارام" مِنهَـا وَ هَمـسَ بأذُنِهَـا : ابْتَهِجِـي .. قَرنُـكِ وَ قَرنِي مَكسورَانِ ! لَكِنْ هَذا لا يَمنَعُ أَن يَكونَ لَدينَا طِفْلٌ بِقَرنَينْ .

فِي اليَـومِ التَـالِي ، كَـان تَبـادُلُ الأَدوارِ بَينهُمَـا الخَيـارُ المُتَـاح ، فَأخذَتْ "ريمْ" سَلّةَ القَشِ الكَبيرة و اتَجَهَتْ نَحوَ أَعتابِ الغَابَةِ ، بَينمَا بَقِـيَ "ارام" فِي العِطارَة يَعمَلُ عَلى فَرطِ حُبوبِ الرُمَانْ .. لَمْ يَكُنْ هَذا يَليقُ بِهِ ، خَاصَةً استقبَالِ أَهلِ "لامَارا" وَ تصّنُعِ الإبتسَامَةِ التِي دَرَّبتُهُ "ريمْ" عَلَيْهَا !

إزدِيَادِ الطَلَبِ عَلى العَقارِ ، طَالَبَ كِلَيهِمَا بِبذِلِ مَجهوُدٍ أَكبَرَ ، وَ فِي ظِل إِصَابَةِ "ارام" ، كَانَ لا بُدَّ لـ "ريمْ" أَن تُفْصِحَ لَهُ عَـن التَركيبَةِ وَ كَيفيـةِ صُنْعِهَا ، فَقَدْ وَجَدَتْ بِذلِكَ تَعزِيَـةً لَهَا أَيضاً لأنهَا كَانَتْ تَلومُ نَفسَهَا عَلى مَا أَصابَهُ .. عَدا عَـن أَنَّ "ارام" لَمْ

يَكُفَّ عَن رَسمِ المُستقْبَلِ الذِي يَنتظِرُهَمَا ، فَقَدْ أَخذَ يَبنِي لِسَقفِ أَحلامِهَا فِي الهَواءِ وَ رَأسِها سَلالِمَ زَخرَفَهَا بِالوَرودِ وَ عَلَّقَ عَلى سَماءِ رِفْعَتِهَا صُوَرَاً .

فِي إِحْدَى الأَيَامِ ، تَعجَّبَتْ "ريمْ" مِن نَفادِ كَميَّةِ الخُشخاشِ التِي لَديهُم ، وَ كَانَ لَديها اعتِبَارٌ مُسبَقٌ بِأَن في المُستودَعِ مَا يَكفِي وَ يَزيدْ ! ، لَمْ تَقِفْ عَلى الأَمرِ كَثيراً ، احتَسبَتهُ خَطأٌ فِي احتِسَابِ الكَمِيَّةِ وَ حَسبْ ..

كَانتْ"رِيمْ" تُعِدُّ القَهوة فِي إستِرَاحتهِمَا ، بَينَمَا "ارام" يَتَشاجَرُ مَع القِطَّةِ "مِيَا" عَلى الكُرسِي ذَاتِهِ ! ، طَرقَ البَاب فَجأةً أَحدُهُمْ وَ هُوَ يَصرُخ : "ابنَتِي لا تَستيقِظِ .. افعَلِي شَيئاً !"

هَرِعَتْ "ريم" مَع وَالدِ الفَتَاةِ وَ أَخذَتْ تَسألهُ إِنْ كَانَتْ ابنته أفرَطَتْ في تِكرارِ أَو كَمِيَّةِ الدَواءِ المَسمُوَحَةِ ! ، فَأَكَّدَ لَهَا أَنهَا لَمْ

تأخُذْ غَيرَ عَقَارِهَا وَ لَكِنَها كَانَتْ كَسولةً جِدَاً مُؤخَراً وَ الآن دَخَلَتْ بِنومٍ مُرِيبٍ لا تَصحُو مِنْهُ ، لَمْ تَستطِع "ريمْ" فِعلَ شَيءٍ وَ تَبيَّنَ لَها أَنَّ الأَمرَ أَقربُ لِغيبوبَةٍ ! ، لَمْ تَستطِع أن تُخفِيَ قَلقَهَا فَذَهَبَتْ لإحضَارِ الطَبْيبِ الذِي أَكدَّ لَهُمْ أَن نَوْمَ ابنَتهُم لَيسَ كِذبَةً ، فَكَانَ وَاقِعُ الأَمْرِ عَليهم جَميعَاً .. أَشبَه بِكَابُوسْ .

بِعَودَةِ "ريمْ" لِلعِطَارَة ، كَانَ "ارام" يَبذُلُ جُهدَهُ فِي غِيابَها ، كَانَ قَدْ أَعدَّ العَديدَ مِن الصَنَاديقَ المُقَّرَرِ شَحْنِهَا لِقَريَةٍ مُجاوِرَة ، جَلَسَتْ تُحَدِّثَهُ بِمَا حَدَثَ بِانفعَالٍ ، وَ كَانَ قَدْ تَركَ مَا بَينَ يَديهِ وَ جَلسَ بِجَانِبهَا يُطمئِنُها بِأَنَ لا عَلاقَةَ للحَادِثِ بِهَا وَ أنَّ عَليهَا أَن تَهْتَمَ بِنفسِهَا أَكثَر وَ لَيسَتْ بِطَبيبَة لِتأُخَذَ عَلى عَاتِقِهَا تَطبيبِ المَرضَى .. بقِيَ يَتَكلَمُ وَ هِيَ تُصغِي دُونَ انْتِبَاهٍ ، حَتّى وَصَلَ سَائِقُ العَربَةِ لِتصدِيرِ الشُحْنَةِ المُتَفَقِ على تَسليمِها .

***

صَباحٌ جَميلٌ تَدورُ فِيهِ العَصافِيرِ حَولَ أَقِبَّيةِ البُيوتِ ، بَينمَا تَتكاسَلُ القِطَّطِ عَلى الحَواجِزِ .. أَمَا الفَراشَاتُ فقَد كَانَتْ تُطارِدُ الزُهور وَ تَنامُ فِيهَا .. ، كَانَتْ "ريمْ" عَلى أَعتَابِ الغَابَةِ ، تُطَرِّزُ خُطواتِهَا بالأغْنِيَاتِ ، لَمْ تَعبُر الشَائِكَ ، لَكنَّهَا كَانَتْ تَنظُرُ خِلالَهُ بِفُضول .. حتَى رَأتْ غَزالاً صَغيراً يَدورُ حَولَ أُمِهِ ، وَ كَمْ تَمَنَّتْ لَوْ يَبقَى بِمَأمَنٍ عَن الصَّيَادِينْ ، حَمَلَتْ سَلّةَ زَهرِ الخُشخاشِ و عَادَتْ أَدراجَها لِلعِطارَةِ ، لِتَرَى "رُوين" تَتكَلمُ مَع "ارام" ، أَخفَت وَ جودَهَا وَ تَدارَت خَلفَ جِذعِ شَجرَةِ الصَفْصَافِ الكَبيرةِ ، لَكِنَّ السَّلةَ كَانَتْ أَكبَرَ مِنْ أَنْ تُخبَّأ ، فَتَنبَّه "ارام" لِوُجودِهَا ، بينما "رُوينْ " لَم تُلقِي بالاً و كانَتْ تَقْتَرِبُ مِنهُ .. كَانَ جَليَاً أَنْ بَينَهُمَا كَلاماً كَثيرَاً ، وَ لَكنَّهُ لا يَصِلُ إِليهَا ! فَأَخَذَتْ تُشاهِدُ وَ هِيَ تَكتُمُ أَنفاسَهَا ، بَدَتْ عَلى "رُوينْ" مَلامِحُ صَدْمَةٍ ، بَدا جِدياً بِعَكْسِهَا فَقَدْ كَانتْ وَدودَّةً ، وَ بَعد ذَلِكَ انسَحَبَتْ وَ أَخذَ شَعرُهَا الأَحمَر الطَويل يَتبَعُهُا بِصورةٍ سَاحِرة..

دَخلَ "آرام" العِطارَة ، وَ أبدا لِطافَةً غَيرَ مَسبوقَةٍ مَع القِطَّةِ ، بقِيَتْ "ريمْ" في مَكانِهَا لِدقائِق ، ثُم دَخَلَتْ وَ كَأنهُ لَمْ يَكن هُنَاكَ شَيءْ ، لَكِنَّ عَلامة التَعجُبِ أخَذَتْ مِن جَبينَهَا صَفحَة لِتَرتسِمَ عَليهَا بِوضُوحْ ، هُنَا .. وَجَدَ "آرام" إنَّ إطفَاءَ فُضولِهَا سَيكُونُ أفضَلَ مِنْ إشعَالِ فَتيلِ غَيرَةٍ لَيسَ بِتوقِيْتهِ المُباحْ .

ارام : لَوْ تَعلمينَ مَنْ قَدِمَ إلينَا اليَوم ..

ريمْ : مَنْ يَا تُرَى ؟

"ارام" و هُوَ يَنظُرُ كَيفَ تُخَبِّئُ عَينيهَا عَنهُ : ابْنَةَ العُمْدَةِ ..

ريمْ : حَقَاً ! وَ مَا الذِي تُريْده .

"ارام" و هو يُخبِئُ ضِحْكَتُهُ فِي صَدْرِهِ : أَخبَرتنِي أَنه كَانَ هُنَاكَ تَبيلِغ لِشَكوَى بِحَقِي وَ أَنه تَمَ التَنازُلُ عَنهَا بِنَاءاً عَلى طَلبِ وَالدَكِ .

"ريم" وَ قَدْ رَفَعَت رَأسَهَا نَحْوَه : فَقَطْ .

ارام : تَقريبَاً .. نَعَمْ .

"ريـمْ" وَ قَـدْ فَقَـدتْ تَمالُـكَ ضَـبَطِ غَيرتِهَـا: مَـا الـذِي تَعنيـهِ بِتقريبَاً؟

ارام : حَسناً .. أَخبرَتنْي أَن أُصابَ مُجَدَّدَاً لأحِلَّ في بيتِ والِدهَا !

"ريمْ" بَعْدَمَا خَرَجَتْ عَن إيقاعِهَا : هَلْ أقطعُ لَكَ أصابِعِك إذَنْ لِتَذهَبْ إليهَا ؟

ضَحِكَ "ارام" كَثيراً .. بَينمَا اتجَهَتْ "ريم" لِلمُستودَع ، لَحِقَ بِهَـا وَ نَـادَى عَليهَـا ، أَخْبَرتْـهُ أَن يَتركهَـا وَحْـدَهَا لأَنَهَـا غَاضِـبَة و سَـتهدَأُ وَحْـدَها .. لَكِـنْ "ارام" أَصَـرَّ أَن تَفـتحَ لَـهُ البَـابْ ، لَكِنَهـا تَمنَّعتْ ، فَدَخَلَ مِن النَافِذَةِ ، لِيَجِدَهَا تُرتِّبُ الصَّناديقَ وَ تَتَفقَّدُ الرُفُوف ..

ارام : أَنْتِ غَبيَّة جِدَاً هَلْ تَعلمينَ ذَلِكْ ..

ريمْ : فَلْتَبْقَ مَع الذَكيَّةِ وَ الجَميلَةِ إذَنْ !

"ارام" وَ هُوَ يَحُكُّ شَعْرَهُ : هَذَا يَعنِي .. أَنَنِي سَأبقَى هُنَا ..

ريمْ : أنَا مَشغولَة ، لا تَترُكْ العِطارَةَ فَارِغَة ؛ قَدْ يَطرُقُ أَحَدَهُمْ البَابْ .

اقْتَربَ "ارام" مِنْهَا ، دَفَعَهَا نَحْوَه بِقوَّةٍ ، نَظَر فِي عَينيهَا وَ قَالَ لَهَا: أَنتِ فَقَطْ الجَميلة التِي لَمْ أَرَ بِجَمَالِ قَلْبِهَا أَبدَاً ، أُرِيدُكِ لِي فَأنَا أُحُبُّكِ.. صَدقِينِي .

قَال لَهَا هَذا دُونَ مُقدِّمَاتٍ ، تَرَكَهَا وَ انسَحَبَ .. لِتَبقَى فِي المَخْزنِ ، تَبتسِمُ مَع نَفْسِهَا حِينَاً .. وَ حِيناً تَقرُصُ خَدَّهَا لِتُصَدِّقَ أَنهُا لَيْسَتْ تَحْلُمْ .

بَيْنَمَا "ريمْ" غَارِقَة بِأَحلامِ يَقظَتِها ، تُبنِي غُيومَاً لآمَالِهَا ، و "ارام" يَزيدُ بِها وَ يَرتفِع لِدَرجَةِ بُلوغِهِ النَجمَة الأبعَدْ ، كَانت القُرى المُجاوِرَة فِي حَالةِ فَوضَى لِدُخولِ عَشراتِ الفَتياتِ فَجأة

فِي غَيبوبَةٍ غير مَسبوقَةٍ ، كَانَ التَوجَه الأكبَرَ لَهُمُ بِأَنَ المُنْتَجَ الطَبيعِي لِلوباءِ هوَ السَببِ .. حَاولوا تَبيُّنَ الأَمرِ حَتى تَبُتَ لهُمُ ذلِكَ .. لِيَتَوجَهوا نَحوَ "لامارا" يَحمِلُونَ غَضبَهم فِي مَلامِحِهِمْ و النَارَ فِي أَيْديهِمْ .

كَانَ "ارام" فِي السُوقِ يَجلِبُ بَعضَ الحَاجِيَاتِ لِلعِطَارَةِ ، عَلِمَ بِأَمرِ الحَشدِ وَ مَطالِبِهِمْ ، فَانسَحَبَ نَحوَ الغَابَةِ ، بَيْنَمَا "ريمْ" لَمْ تَكُن تَعلَمُ بِمَا يَجرِي فِي الخَارِج وَ هِيَ مُنهمِكَةٌ بالعَمَلِ .. حَتَى سَمِعَت أَصواتاً بَعيدة تُنَدِّدُ بِاسمِهَا ، فَنَظَرتْ مِنَ النَافِذَةِ لِتَرى مَجموعَةً كَبيرَةً مِنَ الرِجَالِ يَتجهونَ صَوْبَهَا دُوْنَ بُوصَلَة !

أَخذَتْ تَدورُ فِي المَكانِ تَتَخبَّطُ فِي أَفكارِهَا ، تَسْأَلُ نَفسَهَا سَببَ تَأَخُرِ "ارامْ" ، حَيثُ إنَّ الخَوفَ تَجَسَّدَ لَهَا عَلى هَيْأَةِ غُوْلٍ لِيَجعَلَ مَلامِحَ شُحوبِهَا تَتَقِدُ .. وَقَفَتْ عَلى البَابِ وَ حِيْنَ

أَدركَتْ مُجدداًّ أَنَهَا لِوَحدِهَا ؛ أَغلَقتهُ ! ، تَوَقَّفَ الحَشدُ أَمَامَ بَابهَا وَ قَال أَحدهُمْ : أُخْرُجِي وَ فَسِّرِي لَنَا مَا الذِي حَصَلَ لِبَنَاتِنَا..؟

"رِيْم" مِنْ وَراءِ البَابِ : مَاذَا حَصَلْ..؟ أَنَا لَمْ أَفعَلْ شَيئَاً .. مَاذَا تُريدُوْنَ مِنيْ ؟

صَرخَ بِهَا أَحَدُهُمْ : افْتَحِي البَابَ ، أَضمَن لَكِ سَلامَتِكْ .

فَتحَتْ "ريمْ" البَاب بِحَذَرٍ ، ابتَلَعَتْ خَوفَهَا و نَظَرَتْ لَهُمْ : أُريدُ أَنْ أَفهَم مَاذَا يُجَرِي اولاً .

تَقَدَّمَ ذَاتُ الرَجُلِ وَ أَخذَ يُشيرُ لِلآخرِينَ وَ قَالَ لَهَا : ابْنَتَي وَ ابْنَتِه وَ ابنتَه أَيْضاً .. ابْنَتَه وَ بَنَاتنَا جَميعَاً يَدخُلْنَ بِغيبوبَةٍ وَاحدةٍ تِلوَ الأُخرى بِسَبَبِ مُنتَجِكِ الذِي ادَّعيتِ مَأَمَنهُ ..

ريمْ : لِمَاذَا أَنتم مُتَأكدُونَ أَن العَقَارَ هُو السَبَبْ .

تَقدَّمَ مِنهَا رَجلٌ آخَرَ ، وَ عَرَّفَ نَفسَهُ أَنهُ طَبْيِبُ القَرْيَةِ ، وَ قَالْ : نَحنُ عَلى يَقينٍ مِنْ ذَلكْ ، جَميعُ الفَتياتِ اللاتِي أَخذنَ مِنْ العَقَارِ الذِي أُعدَّ فِي مَعْمَلِكِ هَذا .. دَخَلْنَ فِي غَيبوبَةٍ !

"ريمْ" و هِي تَتَفَقَّدُ نَبَضَات قَلبِهَا : لا يُمْكِنُ ذلِكَ .. أَنَا مُتأكِدَةٌ لا يُمْكِنُ أَنْ يَحصل ذلِكْ ..

أخبَرهَا الرَجلُ أَنهُم سَيُّمْهِلُونَهَا أَربَعاً وَ عِشرين سَاعَةٍ لِتجِدَ حَلاً قَبلَ أَنْ يَقومُوا بِإحرَاقِ العِطارَةِ .. لا بَلْ "لامارا" بِمَنْ فِيهَا !

انطَلقَ الجَمعُ بَعيدَاً ، وَ أَصواتُ الجَميعِ تَتَداخَلُ بِشَكلٍ مُريبٍ لِتَزيدَ مِنَ ارتبَاكِ المَشْهَد ، تَسَمَّرَتْ "ريمْ" فِي مَكَانِهَا ، بَينمَا عَيْنَاهَا أَخَذَتَا تَتَلفتانِ و تَبْحَثَانِ عَن "ارام" .

جَلسَتْ تَنتظِرُهُ .. لِساعَاتٍ بَدَتْ لَها يَومَاً كَامِلاً ، لَمْ يَأتِ "ارام" ، كَادَتْ أنفاسُهَا أَن تَتَعثَرُ بِالصَمتِ الذِي احتَّلَ المَكَانْ .. اتجَهَتْ نَحوَ الصَنادِيقِ تَتَفقَّدُ زُجَاجَاتِ العَقَارِ .. ، فَكَّرت فِي اعادَةِ اختبارِهَا .. فَكَّرتْ فِي إحتِماليَةِ ان "ارام" قَد أَخطأ فِي مُعادَلةِ التَركيبِ ؟ ، تَزاحَمتِ الأفكار دُونَ إشارَةِ عُبورٍ خَضراءْ .. لِتَحمِلَ رَأسَها بِيَديَها وَ تَخرُجَ نَحوَ المَخزَنِ ، أَخذَت تَتَفقَّدُ

المُكوِّنَاتِ ، لِتَجِدَ أَنَّ كميَّةَ بُذورِ الخُشخاشِ أقَّلَ مِمَا يَجِبُ ، يَلزَمُ أَن تَكونَ أَربعةَ صَناديقٍ بَينمَا هِي الآنُ ثَلاثَة ! أَخذَت تَبحَثُ عَن الرَابِعِ المَفْقُودِ بِجُنُونٍ .. لَكِنَهَّا لَمْ تَجِدْ لَهُ أَثراً فِي المَخزَن ..

اقتَربَت القِطَّةُ "مِيا" مِنهَا وَ بَدأت تُبدِي دَلالَهَا ، إلا أنَّ "ريم" لَيسَت بِوَعيَهَا لِتراهَا ، فَقَدْ كَانتْ مَشغولَةً في تَرجمَةِ مَا يُبدِيهِ لَهَا عَقلُهَا ! تُكلِّمُ نَفسَهَا وَ تَسألْ .. وَ ليسَ مِنْ إجَابَاتٍ ، كَأنَّ لا شَيءَ غيرَ الشُكوكِ بَدَأَتْ تَنْخُرُ في أَطرافِ يَدْيهَا لِتَشعُر بِخَدَرْ..!

عادَتْ "ريمْ" ، وَ كَان وَالدُهَا فِي رِحْلَةٍ لأيامٍ إلى قَريَةٍ بَعيدَةٍ بِرفقَةِ قَافلَةٍ تِجاريّةٍ ، لَمْ تَكُن تَعْلَمْ وَالدتُهَا بِمَا يَحصُل .. فأخبَرتها بِعَناوينِ الحَدثِ ، أَخَذَتْ ظِلهَا بَينَ يَديهَا وَ اتجَهتْ لِلنَومِ ، لا تَدرِي كَيفَ لِلنُعَاسِ أَنْ يَتَقدَّمَ لَهَا ، قَضتْ الليْلَ بِطُولِهِ تَنظُرُ لِنفسِهَا فِي المِرآةِ التِي أَهداهَا لَهَا "ارام" ، لِيَأتِيَ الصَباحُ وَ يَطرُقَ نَافِذَتَهَا وَ هِيَ عَلى هَيئَةِ بُومَةٍ .

تَوجَهتْ "ريمْ" للعِطَارَةِ وَسطَ رَجاءِ وَالدَتَهَا لَها بِأَنْ تَبقَى فِي البيتِ لَيُنْظَرَ بِحَلٍّ مَا ، لَكِنَهَا خَرجَت وَ هِي تُجرُّ أَذيالَ الخَيبَةِ خَلفهَا ، تَودُّ لَو تَتَأكدُ مِن "ارام" بِأَنَهُ لَمْ يَدِّسَ كَميّةً كَبيرَةً مِن زَهرِ الخُشخاشِ فِي التَركيبَةِ ! ، وَ بِأَنَ اختفَاءَهُ لَيسَ لِسَبَبِ وُقوعِهِ فِي كَمينٍ آخر ، انتَظَرتهُ لِساعَاتٍ وَ لمْ يَأتِ.. كَأنَ طَقسَ كآبةٍ أَقامَ طُقوسَهُ فِي المَكَانِ ، لَكِنَهُ لَمْ يَطل القِطَّة "مِيَا" التِي بَدَتْ سَعيدَةً بِتمَدُّدِهَا عَلى كُرسِي "ارام" !

أمضَتْ "ريم" النَهارَ مُتكوِّرَةً فِي زَاوِيَةِ العِطارَةِ ، تَتَحَسَسُ قَلبَهَا الذِي لَمْ يَتأكَد لَهَا مَوضِعَهُ حَيث أن رُكبتَيْهَا لَمْ تَكُفَّا عَن الخَفقانْ ! ، أَخذَت تَتَأرجَحُ كَالشَبحِ في المَكَانِ .. تَوَدُّ تَصديقَ هُروبَ "ارام" ، تَتَّبَعُ أَسطُرَ خُطوَاتهِ ، بَلْ لا بُدَّ لهَا مِنْ تَتبُّعِ خُطَّتِهِ .. ! أَكانَ وُجودُهُ خُدعَةً ؟ وَ حُبُّهُ كِذبَةً !

غَفَـتْ فِي مَكانِهَـا ، لَـمْ تَشـعُر بِبَـردِ مَـا تَسَـرَّبَ مِـنَ النَافِـذةِ المَفتوحَـةِ ، لأنَّ الدَّمَ الـذِي تَخثَّـرَ فِي عُروقِهَـا كَـانَ أَبرَدَ ! ، مَالـتْ بِرأسِهَا لِلجِدَارِ الذِي كَمْ تَمَنَّتْ لَو يَسنِدُهَا ، لَكِنَهُ كَانَ يَميلُ مَعْ دُوارِها .. حَتى استيقَظَتْ عَلى جَلَبَةٍ فِي الخَارِج تَقْتَرِبُ مِنْهَا .. كَـانَ وَقـعُ أقـدامِهِمْ ثَقـيلاً ، أَصـواتُهُمْ غَاضِـبَةٌ وَ هَـالتُهُمْ كُحلِيَّـةَ اللَّونْ ..

بَدَأت تَشُمُّ رَائِحَةَ احتراقٍ خَفيفٍ يَدخُلُ رِئَتِهَا دُونَ استِئذَانْ ، لَمْ تُحَرِّكْ سَاكِنَاً ، بَلْ أَخذَت شَهيقَاً أَكبَرَ عَلَّهَا تَسْتَعجِلُ انتهَاءَ مَراسِمَ انتقَامِهِمْ .. كَانَتْ أَصواتُهُمْ تَعلُو عَلى أَلسِنَةِ النَارِ التِي بَدأَتْ تَتَقافَزُ حَولَهَا ، خَرَجَتْ القِطَّةُ "مِيا" مُسرِعَةً عَبرَ النافِذَةِ ، فاطمأنَـتْ أنهَـا سَـتكوُنُ بِخَيـرٍ دُونَ مُشـاغَبةِ "ارام" لهَـا وَ دُونَ هَذهِ النَّارْ .

هُرِعَ أهلُ "لامارَا" مُسرِعينِ يُحاوِلُونَ مَنعَ الرِجَالِ ، بَعْضُهُمْ يُحَاوِلُ اطفَاءَ النَّارِ وَ آخَرُ يَتَفَقَّدُ خُلُّوَ المَكانِ .. وَ آخروُنَ يُجادِلُونَ

وَ يَستنكِرُونْ ، كَانَ الأُمرُ أَقربَ لِجَبهَةٍ مَفتوحَةٍ عَلى صِراعِ حَقٍ مَهدُورٍ ، لا تَدرِي بِالضَبطِ أَينَ هُدِرَ وَ مَن طَعنَ بهِ ! ، وَضَعَتْ "ريم" يَديهَا عَلى أُذنيهَا ، وَقَفَتْ عَلى قَدمَيْهَا ، كَانَتْ تَتَأرجَحُ وَسطَ النَّار التِي تَوَدُّ احتِوَاءَهَا بِدفءْ ، و السَقفِ الذِي يَميلُ نَحوَ رَأسِهَا مُترصِداً قَرنَهَا ! .. بَينمَا الدُخَانُ استجمَعَ وَقاحَتَهُ لِيَتَرَآى لَهَا بِملامِحِ "ارام" ، أَما الرَمَادُ فَأخذَ يَرسمُ زُخْرُفَاتِهِ عَلى فُسْتَانِهَا ! لِتخرُجَ أَمامَ الجَميعِ وَسطَ ذُهولِهم بِأَنَهَا كَانَت فِي العِطارَةِ ، لِيُسارِع رِجَالُ "لامارا" لِإنقاذِهَا ، بَلْ اخفائِهَا مِن بَطشِ مَا يَتَرَّصَدُهَا و إياهُمْ ..

***

اسْتَعَادَ "ارام" مَكَانَتَهُ وَ احتِرَامَهُ أَمَامَ الصَيادِينْ وَ هَيمَنَتِهِ عَلى الغَابَةِ ، رُغمَ قَرنِهِ المَكسورِ ، إلا أَنَهُ كَانَ المُرَشَّحَ النَاجِحَ سَلفاً لِيكوُنَ خَليفَةَ العُمدَةِ .. بِزفَافٍ كَبيرٍ كَانَ لا بُدَّ مِنْ تَتْويجِهِ وَ الجَميلَةِ "رُوينْ " بِحَفلٍ يَليقُ بِهمَا ، كَانَتْ الدعَوَةُ لِلحَفلِ

عامَّـة ، وَ لا يُمكِـنُ لأحـدٍ التَخلَّـفَ عَـن الـدَعوَةِ الكَريمَـةِ مِـنَ العُمْدَةِ.

لَم يُلَبِيا والدا "ريم" الدَعوَةَ ؛ فقَد كانَتْ وَالدَتُهَا مُستاءَةً مِنهُ ، فقَـد كَسـرَ قَلـبَ ابنتهَـا مِـرَارَاً ، كَيـفَ لَـو تَعلَـم أَنَـهُ سَـبَبُ نُشوبِ حَرائِقَ أَكبَر فِي قِلبِ ابنتِهَا مِن ذَاكَ الحَريقِ الذِي طَالَ العِطارَةِ .. ، فـ"ريم" لَمْ تُخبِر وَالديهَا بَتَفَاصِيلِ مَا كَانَ وَ فَضَّلَتْ أَنْ تَكتُمَ سِرَّهَا وَ تَتَحمَّلَ مَسؤوليَةَ مَا كَانَ وَحدَها ، أَقلَّهَا بِأَن يَعيشَ "ارام" بِمُستقبَلٍ يَليقُ بِهِ ، أَمَا هِي .. فَقَدْ وَجَدَتْ أنَهَا انتَهت و لَيسَ هُناكَ غير الإستِسلامْ .. ، خَاصَّة عنِدَمَا انهمَرَتْ مِنَ عَينيهَا الدُموعُ وَ هِي تُراقِبُ مُتخَفِّفَةً وَ مُتخفيَّةً رَقصَتهُمَا مَعَاً فِي ذَاكَ الحَفلِ الكَبيرْ .

***

بِقَلبٍ مَكسُورٍ ، وَ قَرنينِ مَكسورَين .. وَ هِمَّةٍ مَكسورَة .. و ظِلٍّ بالكَادِ مُتماسِكٍ على هَامشِ الخُطوَةِ ، هَذا مَا بَدتْ عَليهِ "ريمْ" ، لِتأخُذَ مِنَ السَيرِ حَولَ أَعتابِ الغَابَةِ مُواسَاةً لَهَا ، وَ كَأنَّ الأَشجارَ التِي كَانت تَستنِدُ عَلى جِذْعِهَا لَمْ تكُن تَسْمَعُ أَنْينِهَا ، أوْ أنَّ الأَغْصَانَ لَمْ تَكُن تَخجَلُ مِن بَراءِتهَا فَتبتعِدُ لِتُمهِّدَ لِشُرودِهَا الطَريقْ .. كَانت الأرانِبُ تَقترِبُ مِنْهَا بِسعَادَةٍ ، وَ السنَاجِبُ تُهدِيهَا البُندقْ ، بَيْنَما الغُزلانُ كَانت تَدورُ حَوْلَهَا ..

شَعرتْ "ريم" أَنَّ الغَابَةَ تُنَاديهَا ، لَمْ تَعُد تَكترِثُ لِمَخاطِرَ أَو كَمائِنَ .. فَليسَ لَدَيْهَا مَا تَخسَرهُ بِكُلِّ حَالٍ .. تَجاوَزتِ الحَاجِزَ و أخذَتْ تَسيرُ ، كُلَّمَا دَخَلَتْ كَانت الأشجارُ تَرتفِعُ أَكثَر و الأَعشابُ تُصبِحُ كَثيفَةً ، تَنبَّهَتْ لِصَوتٍ مُفَاجِئٍ جَعَلَ العَصافيرَ تَفِرُّ هَارِبَةً بِإضطرابٍ عَن أَغصانِ غَفْوَتِهَا .. فَأسرَعَتْ للمَكَانِ لِتَرى غَزالاً صَغيرَاً وَقَعَ فِي إِحْدَى كَمائِنِ الصَيْدِ ، اقتَربَتْ مِنهُ بِسُرعَةٍ وَ إِذْ بِوالدتِهِ خَلفَ الأشجارِ تَدورُ حَول نَفسَهَا هَلعَاً ، حَاوَلَتْ "ريمْ" فكَّ الكَمين لَكِنهَا لَمْ يُسعِفْهَا وَهنُ يَديها ، كَانَ لا بُدَّ مِنْ حَلٍّ سَريعٍ فَوضَعَتْ يَدهَا بَدلاً مِنْ

قَدَمِ الصَغيرِ الضَعيفَةِ ، لِيتحَررَّ وَ يُسرعَ نحوَ أُمِهِ ، بَينَمَا بقِيَت يَدهَا حَبيسَةَ الكَمين ، لَمْ يُوجِعهَا نَزيفُهَا فَقَد كَانَتْ تَعلَمُ أَنهُ لا بُدَّ مِن صَيادٍ قَريبْ .. وَ فِعلاً تقدَّم أَحدُ الصَّيادينِ ، وَ فَعَلَ مَا يَلزمُ باسعافِها ، بَينمَا لَمْ يَكُفَّ عَنْ لَومِهَا دُخولَ المَنطقَةِ المُحرَّمَةِ !

لم تَكترِثْ "ريمْ" لتوجِيهِ الصَّيادِ ، بَقِيَت تَتَجَوَّلُ كُلَّ يَومٍ ، فَقَد وَجَدَتْ في الغَابَةِ ما يَحتَويها بِعَطفٍ مِنْ ظُروفٍ ظَلمتهَا ، بَدَتْ تُتمتِمُ بِأَفكارِ مجنونَةٍ أحيانَاً ، كَأمنيَّتِهَا بِلقَاءِ الدُّبِ ذِي العَينِ الوَاحِدَةِ لِتُنبِّهَهُ مِنْ كَمائِنَ "ارام" لهُ .. فِي هذهِ الأَثناءِ وَجَدَتْ غَزالَةً ضَعيفَةً جِداً ، اقتَرَبَتْ مِنهَا وَ بَدَتْ قِواهَا خَائِرَة ، أَطعمَتْهَا بِيَديهَا بَعضَ الطَعامِ ، حَمَلَتْهَا لِمكَانٍ آمِنٍ عَن أعيُنِ الصَّيادينَ و الحَيَوانَاتِ المُفتَرِسَةِ ، ثُمَ انسَحَبَتْ عَلى أَنْ تَراهَا فِي اليَومِ التَالِي .

اتجَهَتْ "ريم" نَحوَ المَكانِ الذِي تَركَتْ بهِ الغَزالةَ الهَزيلةِ ، ابْتَهَجَت حِينَ رأتهَا بِخَيرٍ ، أَطعمتهَا وَ مَسحَت عَلى جَسَدِهَا بِدواءٍ أَعدَّتَهُ ، وَ بَقِيَت تُداوِمُ عَلى زِيارَتِهَا حَتى اشتَدَّ عُوْدُهَا ، وَ أصبَحَ بإمكانها الوُقُوفْ ..

كَان "ارام" مُشغولاً بِمَسؤولِيَاتِهِ الجَديدَةِ ، مِنْ عَقدِ إتفاقيَاتِ تِجارةٍ مَع مَندوبِي و تُجارِ القُرَى المُجاوِرَةِ ، وَ تَعلُمِ السِياسّةِ .. وَ الخُروجِ بِرحلاتٍ مَع زَوجتِهِ ، أَمَا الصَيدِ فلَمْ يَجِد وَقتاً لَهُ وَسط هذهِ المَهامِ ، لَكِنَهُ كَانَ يَتسرَّبُ أَحيانَاً مِنْ بَعضِ مَهامِهِ لِيهُرُبَ إلى الصَيدِ وَ لِقَاءِ أصدِقاءِ مَجْمُوعَتهِ ..

ذاتَ مُغامَرةٍ لَهُ وَ مَجموعتِهِ ، كَانَوا قَدْ صَادَفوا غَزالاً ذَهبِيَّ اللَّونِ لَكنهُمْ لَمْ يَستطيعُوا الإمْسَاكَ بِهِ ، ذَاعَ سِيطُ هَذا الغَزالِ لِدَرجَةِ انهُمْ تَداولُوا خَبَرَ ظُهورِ غَزالٍ مِنْ ذَهَبْ ! و بَدأتْ الأخبَارُ تَنْتقِلُ عَلى أَلسِنَةِ أَهلِ "لامَارا" بِوُجودِ مُعجَزَةٍ فِي الغَابَةِ

، وَ أبْدَى الصَّيادوُنَ جِدَّيَتُهُمْ لإثبَاتِ ذَلِكَ بِمحاولَةِ صَيدِ هَذا الغَزالِ الذَهبيِ الفَريد ، لِنَيلِ جَائِزَةٍ ، وَ إثبَاتِ صِحَةِ الخَبرِ.

"ارام" إنْ وَضَعَ هَدفَاً .. لا بُدَّ أنْ يُنجَزَه ، كَمَا سِهَامَهُ التِي لا تَحيدْ ، لِذَا فَقَدْ اصطادَ الغَزالةَ الذَهبيَّةَ ، وَ التِي أَذهلتهُ بِجمَالِ قَرنَيهَا الذَهبيين .. لِيُثبِتَ لِلجَميعِ كَمَا دَائِمَاً أَنهُ عَميدُ الصَّيَادِينَ وَ عُمدَتُهُمْ الجَديرُ بالثِقَةِ ، كَانَتْ الأَخبارُ في القَريَةِ لا تَكُفُّ عَن الدَوَرانِ حَدَّ الخُروجِ مِن "لامَارا" مَع قَوافِلِ التُجارِ ..

أَما "ريم" لَمْ تَكُن تُدرِكُ أَيَّ شَيءٍ مِنْ هَذا لإخِتَلائِهَا بوَحْدَتِهَا .. كَانَت تَعمَلُ عَلى تَطويرِ مَرهَمٍ يُساعِدُ الغُزلان عَلى النُموِ بِصِحَةٍ وَ تَعزيزِ قُوَّتهِم ، وَ هَذا مَا كَانْ .. دَخَلَتْ السَعادَةُ قَلبَ "ريم" وَ بَدأتْ تَكبُرُ كُلَّمَا سَاعَدَتْ غَزالاً ، أو أَنقَّذت قَلبَاً أَو حرَّرت من شِبَاك الصَّيدِ جَنَاحَاً ، فَأَصبَحَتْ خُطواتهَا أَسرَع .. و صَوتُهَا أَعلى لِتُغَنِي فِي الغَابَةِ وَ يَتبَعُهَا قَطيعُ غُزلانٍ ذَهبيَّةٍ و سِربُ عَصافيرْ ، حَتى أنَّ الجُرحَ الذِي أَصابَهَا ذَاتَ كَمينٍ وَ تَركَ

نُدبَةً .. بَدَأَ يَتعافَى وَ بَعدَ فَترةٍ بَدا كَأَنَهُ لَمْ يَكُنْ ، شَعرَتْ بِهَذا أنَّ قَلبهَا يَستَعِيدُ دَفقَهُ ، وَ وَجنَتيهَا اكتَسيَتَا بَعضَ لَونٍ كَمَا جَبهتهَا إِثَرَ السَيرِ تَحتَ شَمسٍ مُعَلَّقَةٍ فَوقَ الغَابَةِ ..

***

وَالدَةُ "ريمْ" وَ هِي تُعِدُّ الفَطور : مَا رَأيُكِ لَوْ تَذهَبين مَع وَالدكِ وَ تُساعِدينَهُ فِي السُوقْ؟

ريمْ : لا أَرغبُ بِذلِكَ ..

وَالدتُها : مَا جَدوى ذَهابَكِ لأَعتَابِ الغَابَةِ يَوْمِيَاً .. فَلْتَفعلِي شَيئاً مُفيدَاً..

"ريمْ" مُتَوَجِمَة : حَسناً يَا أُمِيْ .. سأُفَكِرُ في الأمرْ .

اقتَربَتْ وَالدتُهَا مِنهَا ، وَ قَالَتْ لَهَا : لا أُريدُ أَن أَرى هَذا الوَجهَ العَابِس مُجدَّدَاً ! مَا دَام ذَهابُكِ لِلتَنزُهِ يُبهِجُكِ .. فَاذهَبِيْ .

خَرجَـت "ريـمْ" تَحمِـلُ حَقيبَتَهَـا الصَـغيرةَ رِفقَـةَ وَالـدِهَا ، إلى مُنتصَـفِ الطَريـقِ .. حيـثُ وِجْهَتِهَـا الغَابَـةِ وَ طَريقَـهُ السُـوقْ .. كَان يُقلِقُ والِدَهَا أمرٌ وَاحدٌ ، أَلا وَ هُوَ أَنْ تَلتقِيَ مُصَادَفَةً بِـ"ارام" ، لَكنهَا كَانَتْ تُؤكِدَ لَهُ أَن مَكانتَهُ الحَاليَّةَ لا تَسْمَحُ لَهُ بِمغادَرةِ بَيتِ العُمدَةِ ، وَ بِأنَّ الغَابَةَ لَيسَت مُلكَهُ بِكُلِ حَالْ .

أرادَ وَالدُهَا التَخيفَ مِن قَلقَهِ ، فَأخبَرَهَا عَمَّا يَدورُ مِن غَرائِبِ الأخبارِ فِي "لامارا" عَـن الغُزلانِ ذِي القُرونِ المُتوَّجَةِ بالزهورِ ، وَ الأَرانبِ الفَـاخِرَةِ الشَـعرِ ، وَ عَـنْ الكَمائِن التِـي تَتحـول الفَـرائِس بِها إلى أَغصانٍ جَافّةٍ ! ، لَـمْ تَستطِع "رِيـمْ" تَمثِيـلَ براءَتهَا مِـنَ الأَمرِ .. فَأخفَتْ ضِحكَتهَا بِيدِهَا وَ جَعلت عَينيهَا تَهرُب بَعيدَاً ، وَ قَالتْ لَهُ : يَبدو لِي أَنَ الصَّيادونَ فَقَدوا صَوابَهُمْ..

والدُهَا : للغَابَةِ أَسرارُهَا أيضاً .. صَحيح !

شَعرت "ريمْ" أَن وَالدَهَا اقتربَ مِن افْتِضَاحِ أَمرِها ، خَاصَّة بَعدَ تِلكَ النَظرَة الوَاثِقَةِ التِي رَمقهَا بِهَا ، فَقالَتْ لَهُ وَ هِي تَرفَعُ حَاجِبَيهَا : لا بُدَّ أَنَّ الأَمرَ مُشَوِّقٌ جِداً ..

عدَّلَ مِن نَبرةِ صَوتهِ و قَال : إياكِ إِجتيازَ الحَاجِزِ ! سَتُخبِرُني العصفوُرَة ..

ضَحِكَتْ "ريمْ" بِصَوتٍ عَالٍ وَ قَالَتْ لَهُ : سَأصطادُهَا بِنفسِي تِلك العصفورة الفَتَّانَة ..!

وَصلتْ لأَعتابِ الغَابَةِ ، كَانَتْ الغُيومُ كَالقُطنِ تَتَجمَّعُ لِرسمِ دَربٍ صَاعِدٍ لِلسَماءِ ، كَانتْ قَد انتقَتْ فُستَانَاً خَفيفَاً .. و لَكِنَها لَمْ تَنسَى الشَال ، اجتازَتْ المَسمُوحَ ، وَ استقبَلهَا أرنَبٌ كَثيفُ الشَارِبَينِ وَ فَراشَةٌ زَرقاءُ مُختالَةٌ بتماوِجُ لَونِ السَماءِ عِبر جناحَيها حطَّت على اصبَعِ يَدِهَا ، أَخذَ الأرنبُ يَقْفِزُ أَمامَهَا لِتلحَقَ بِهِ ، حَتَى وَقَفَتْ أَمامَ حَاجِزٍ مِنَ الشَجرِ شَديدِ الإِخْضِرَارِ ، أَخذَت تُحاوِلُ فَتَحَ مَسارٍ لَهَا مِن خِلالهِ ، احتاجَ الأَمرُ بَعضَ الوَقتِ لِتَشابُكِ الأَغصانِ .. حَتَّى رَأتْ حَقلاً زَاخِراً بِأَزهَارٍ لَمْ تَعلم

بِوجودِهَا هُنَا .. أَذهَلهَا المَشهَدُ وَ دَخَلَتْ بيُمنَاهَا سَاحَةَ اللونِ بِإنسِجَامٍ ، كَمَا أَنَّ الفَراشَ أَخذَ يَرتفِعُ عَالِياً وَ يَنخفِضُ كَموجَةٍ مِنَ السِحرِ فِي مُحيطٍ أَزرَق ، تَجمَّعَتِ الغُزلانُ التي كَانَتْ قَد سَاعَدتهُا بِالفِرار مِن كَمائِنِ الصَّيادينَ ، أَو خِياطَةِ جُرحٍ أَو مُعالجَةِ تصَدُّعِ قَرنٍ أَو انحناءَةِ فَرحٍ .. حَتى مَن أَعطَتهُمْ حَفنَةَ مَاءٍ .. وَ الغَزالَةُ التِي زَخرَفَتْ قُرونهَا بِالوردِ بِدايَةَ الرَبيعِ ، رَأتهَا بِكامِلِ هَالتِهَا تَقِفُ أَمامَهَا ، شَعرتْ أَن الغَابَة تُريدُ أَن تَحتفِلَ بِها .. بِعُرسٍ استثنائِيٍّ الطُقُوسِ ، لَمْ تُخفِي فَرحَةَ قَلبِهَا ، فَجَلسَتْ تَصنَعُ تِيجَانَ وَردٍ لَهُمْ ، حَتَّى اهتَزتْ الصُورةُ باضطرابِ العصافيرِ وَ خَوفِ الغُزلانِ لِيَتجِه انتباهُهُمْ إلى تلكِ الجِهَةِ ..

كَان لا يَزالُ فِي يَديها عِقدٌ لَمْ يَكتمِل ، وَضَعتهُ عَلى رَأسِهَا و اتجَهتْ نَحوَ الصَوتِ بَعدمَا حَملَت حَقيبتهَا مُسرِعَة .. عَلَّ أَليفاً وَقَعَ فِي مِصيَدَةٍ ! كَمَا وَ تَبِعهَا الغُزلانُ .. لِيَحِلَ الصَّمت فَجأةً بِتوقُفِ "ريم" بعدَ رُؤيَتِهَا لـ"ارام" .

حَمَلَتـهُ قَـدمَاهُ خُطـوَتينِ لِلْخَلـفِ ، وَ بَقِـيَ عَلى ذُهولِـه بِفَـمٍ مَفتـوحٍ ! ، رَأى "ريـم" بِقَـرنَينِ كَبيـرينِ وَ رَأسُـها مُتَّـوَجٌ بِـالوَردِ وَ كَأنهَا جِنيَّـةٌ خَارجَـةٌ مِـن الحِكايـاتِ ، وَ عَشـراتِ الغُـزلانِ الذَهبيَّـةِ تَقِـفُ خَلفَهَا بِشَـكلٍ لا يُمكِنُ للهنَدسَـةِ أَن تَصِفَهُ إِلا بِالروعَـةِ .. ، لمْ يُصَدِّق مَا يَراهُ .. تَقدَّمَ خُطوَة وَ هوَ يَضغَطُ عَلى عَينيهِ وَكَأنهُ يَحُثهمَا عَلى بُلوغِ دَرجةٍ أَقربَ مِنَ الوُضوحِ .. بَينمَا أَخذَ الفَـراشُ الأَزرقُ يَزيدُ المَوقِفَ غَرابَةً برقصَتهِ المُتماوِجَةِ فوقَ المَشهَدْ !

ارام: أنتِ "ريم" صَحيح ؟ هَذا بِفْعلِكِ..!؟

تَقدَّمَتْ "ريم" بِخطواتٍ كَثيرةٍ .. دَعَت الغُزلان لِيُوافقوهَا الخَطْوَ ، بَينما أَخذَ "ارام" بالتَراجُعِ خَوفَاً ! أَبدى مَلامِحَ مرُعبَةً فَجأةَ لا تَليقُ بِوجهِ "ريمْ" ، أَخذَ يُشيرُ بإصبعِ مُرتَجِفٍ خَلفَهَا .. لَكنهَا لَـمْ تَلتفِـتْ ! بَـلْ اتجَهَـتْ نَحـوَ الـدُّبِ الصَـغير الـذِي وَقـعَ أَسيرَ كَمينهِ ، بَدتْ تُحاوِلُ تَحريرهِ .. وَسطَ تَرُدُدِ "ارام" وَ اختنَاقِ

صَوته :" الدُّبُ ذو العَينِ الوَاحِدَةِ خَلفَكِ"، استدارَ لِيَهرُبَ فَوجدَ الغُزلان أَحَاطَتْ بهِ وَ .. وَليسَ هُناكَ مِن مَخرَجْ !

سَقَطَتْ الكَلماتُ مِنهُ كَما سَقَطتْ فَأسُهُ مِن حَبلِ بِنطالِهِ ، وَ لَـم يَجلِـبْ رُمحَـهُ ولـيسَ هُنـاك سِـوى أَحـداثٍ غَيـرِ مُرتَبـةٍ و أعصابٌ مُرتعِدَةٌ ، فَعَاوَدَ النَظَرَ نَحو "رِيم" ، ليَجِدَ الدُّبَ الأكبَر يقِفُ أمامَه بِعينٍ وَاحِدَةٍ و يَدٍ غليظَةٍ وَ أَنيابٍ سَتُجيدُ تَمزيقَهُ ! ، رَفعَ الدُّبُ يَدَهُ لأعلَى مَا يُمكِن وَ أطلقَ صَرخَةً هَزَّت الأَرضَ مِن تَحتِ أَقدامِهِمْ ، أَغلقَ "ارام" عَينيهِ أَقلهَا كَي لا يَشعُر بِأَلمٍ وَ هوَ يُؤكَل ! .. انطَلقَ صَغيرهُ نَحوَه بَعدمَا حُرِر مِن قَيدهِ ، فَأنزَلَ الدُّبُ يَدهِ لِيحمِلَ صَغيرهُ و يَضمَّهُ نَحوَه ..

بقِيَّ "ارام" مُتجمِدَاً ، يُراجِعُ خَطايَاهُ ، وَ يُؤكِدُ لِنَفسِه هَذا لا بُدَّ مِن انتقامِ الغَابَة مِنه ! ، اقتَربَت "ريمْ" بَينمَا هِي الأُخرى لَمْ تَعلَم تَرتيباً سَليمَا لِمَا جَرى خِلال دَقيقةٍ أَو أقَلْ .. نَادَت عليهِ "هلْ أنتَ بِخَيـر يـا "ارامْ" ..؟" ، فَتَحَ عَينيهِ ليَرى "ريـم"

أَمامَهُ ، أَخذَ يَتحَسَسُ جَسَده وَ يَنظُر إلى قَدَمَيهِ التِي بِالكَادِ تَحمِلهُ كَمَا أَنهُ لمْ يَعُد يَشعُر بِهمَا ، ارتَطَمَتْ رُكبتَاهُ بِالأرضِ .. وَ أَطالَ النَظَرَ نحوَ قَرنيهَا ، بَقِيَت تُنادي عَليهِ "يا ارام! " .

لم يُجِبهَا ، فَهِي بِالنِسبَة لهُ الآنَ حُلم لا يَستطيعُ امسَاكَه بِيَديهِ وَ هوَ الذِي حِينَ يُوجَه سَهمَا يُصيُبُ بِهِ القُلوب !، أما قَرناهَا فَهُمَا مُعجَزَةٌ لا يُمكِنُ انكارُ وُجودِهِمَا أَمامَ عَينيهِ ، كَمَا أَنهُمَا ذَهبيّانِ كَما الغُزلان الذَهبية! .. ، هوَ لا يَتألمُ بِمعَنى الأَلَمْ ، فَليسَ بِه جُروحٌ .. بَدا مُتَأكِداً مِن صِحَةِ سَلامة اعضَائِهِ ، لكنهُ لا يَضمَنُ تَفسيراً مَنطقِياً يُعينُ عَقلهُ ، حَاولَ النُهوضَ بِصعوبَةٍ وَ أخذَ يَسيرُ أَبعدَ مَا يُمكنَهُ ، شَعرَ بِأنَّ الأَلوانَ تَتَداخَلُ ، وَ أَن الأَغصانَ تَتشابَكْ .. السَمَاءُ أَقرَبُ وَ يَداهُ بَعيدتَانِ كُلَّ البُعدِ مِن أن يَسنِدا رَأسَهُ ، سَمِعَ صَوتَ مِواءٍ خَفيفٍ .. خَفَقَ قَلبَهُ رُعباً بِأَنْ تَكونَ تِلكَ القطَّة الغَائِبة عَنْ النِهايَةِ هِي "مِيا" نَفسُهَا ...!، تَخيَّلهَا تَنظُرُ إليهِ بَعَينيها اللامِعَتينِ .. تَحمِلُ لَهُ فِي فَمِهَا زَهَرةَ خُشخَاش !

***

مُجَدداً ؛

... الرَّبيعُ عَلى الأبوابِ ، هَذا يَعني مِهْرَجَانُ "لامارا" ، أَهلُ القَريَةِ مُنشَغلون فِي تَزيينِ الطُرقاتِ بالوَردِ وَ طِلاءِ الجُدرانِ بألوانٍ فَاهيَةٍ ، زَخرفَةِ الأبوَابِ بِالشَرائِطَ ، تَعليقِ المَصابيحِ و رَفعِ الأعلامْ .. رَائِحَةُ الكَعكِ كَانَتْ تَخرجُ مِن النَوافِذِ لِتطغَى عَلى المَكانِ وَ تدخُلَ الصُدوُر ، وَ أَكوابُ شراب شايِّ الوَردِ تَستعِدُ لتُسكَبَ في الفَناجينِ .. وَ أَجمَلُ مَا فِي هَذا العِيدِ كَانتْ بَهجَةُ الأَطفالِ ، أَلعابُهم وَ حَلواهُم .. مَلابِسُهُم الجَديدةُ و أُمنياتُهُمْ .

استَجمَعت "ريمْ" ابتسامَتَهَا ، تَزَّيَنت و فَرَدتْ شعرَها ، وكانت قَد استعانَت بِمرآةِ "ارامْ" كَي تُسَّرِحَهُ بِشَكلٍ جَميلٍ ، و توَجَّهت إلى السوقِ رِفقَةَ "ميرالِ" و صَغيرَتَها التي بالكادِ تعلَّمتْ المَشيَ لِتَسيرَ أمامَهُمْ بِخُطواتٍ مُتَعثِرَةٍ و تَبقَى تُنادِي والِدَتها بِـ "بابا"! .. ، كانت الأجواءُ حماسيَّةً حَولَهُم ؛ الشُبَّانُ

يلعَبونَ بعضَ الألعابِ و الفَتياتُ يُصَّفِقنَ .. أما الأطفالَ فَلا يَكفُّونَ عن الشَغبِ لِيسرقوا الحلوى التي تُوزَّعُ بالمَجانْ ..

بمرورِ العَمدَةِ و ابنَتهِ ، تجمَّعَ أهلُ "لامارا" ، مُهَنئِينَ و مَذهولينْ ، فَ "رُوينْ" قَد قامت بِقَصِ شَعرِها لِيَبدو قَصيراً ! .. مع ذَلِك فلم يَنتقِص شَعرُهَا الأحمرُ القَصيرُ من جَمالِهَا شَيئاً ، بَل زادَها ألقاً لِيتماشَى مع النمشِ المُنسَجمِ وَ وَجْنَتيهَا .. ، لِتبقَى دائِماً حَسناءَ "لامارا" ..

عادَت "ريمْ" بِذاكِرَتها إلى الوراءِ رَبيعَينِ ، بَدا الأمرُ و كأنَّ شَريطاً رَمادِيّاً مرَّ أمامَها للَحَظاتٍ ، ليستعرِضَ وجودَهُمَا معاً يداً بِيَدْ ، هوَ يَسيرُ سَريعاً بِخطوتهِ الكَبيرةِ و هِي بالكادِ تتبَعهُ و تُسايِرُ سَيْرَه ، و كَم تَفتَقِدُ وُجودَهُ ، تَذَكرتهُ بَلى .. مع أنها لَم تَنسَه ، تمنَّت لَو تَلمَحُ "ارامْ" مِن بَعيدٍ يُلَّوِحُ لَها ، و هي تعلَمُ أنه لا يُمكنه الآنَ أن يُمسِكَ يَديْهَا ..

ضَربَ كَتِفَهَا أحَدُ المَارَّةِ ، انتَفَضتْ مِن مُفاجأتهِ ، لتَجِدَ نفسَها عادَت إلى أرضِ الواقِع مِن حُلم يَقَظتِهَا .. و تَرى يَدها مَمدودَةً إلى الفَراغِ ؛ كأنَّ ما كان بَينَهُما يُنادِي عَليها ؛ تعالِيْ .. "نمشِي جَناحاً بيَدْ" (*).

(*)صلاة الملاك ، مرايا الملائِكة ؛ إبراهيم نصر الله .

على شَجرتهِ العاليَةِ ، فِي الغابَةِ .. تَحديداً في المجالِ المَمْنوعِ ، قضَى "ارام" عيدَهُ ، يَنظُرُ لأضواءِ القَريَةِ ، يضمُ يَديهِ نحوَ صَدرهِ و يَتمتِمْ ." كأني هنالك ، في الأمنية"(**)

(**) قلب الأم 1 ، مرايا الملائكة ، ابراهيم نصر الله .

***

النِهَايَةْ ،،

رواية "الريم" هي العمل الأدبي الرابع للكاتبة ، صَدر عن دار جفرا ناشرون و موزعون 2023 م .

-وصلت الرواية إلى القائمة القصيرة في جائزة جرير للسرد القصصي. "الإمارات".

-القائمة القصيرة في مسابقة دار اللوتس للنشر الحُر – الدورة الرابعة "نوفيلا" 2022م "مصر".

عن الكاتبة :

- ريـم الكيـالي كاتبـة و روائيـة ؛ ولـدت في الأردن عـام 1987م .
- بكـالوريوس أنظمـة معلومـات حاسـوبية CISمـن الجامعة الهاشمية HU.
- خبيرة مصرفية في مجال الصيرفة الإسلامية EXBA.
- مُراقبـة و مدققـة شـرعية دوليـة CSAAمـن هيئـة المراجعة و الماحسبة للمصارف الإسلامية AAOIFI البحرينْ.
- مُدربـة دوليـة في تطـوير الـذات و التفكيـر الإبـداعي و البرمجة اللغوية العصبية، من البورد الدولي لعلماء التنميـة البشـرية و المسـجل لـدى الأمـم المتحـدة و منظمة الاعتماد الدولي IAO
- عضو في اتحاد الكُتاب و الأدباء الأردنيين.

اصداراتها الأدبية :

- "فاوانيا" ؛ نصوص أدبية نثرية أصدرت في عام 2021م.
- رواية "وردة نقدية" ، القائمة القصيرة في جائزة معهد العالم العربي للرواية / باريس 2021 م .
- حصاد الورد ؛ نصوص في الشتات الفلسطيني ، عن دار جفرا ناشرون و موزعون 2022 م .

إذاعياً عبر أثير إذاعة ثَقيفة المواسم الأدبية :

- برنامج فاوانيا ، قراءة أدبية في كتاب فاوانيا.
- برنامج مسيرة ورد ، مقابلات مع قامات أدبية .
- برنامج حصاد الورد ، قراءة أدبية في كتاب حصاد الورد، نصوص في الشتات الفلسطيني.